سياق الحال وتوجيه التراكيب عند سيبويه

د. محمد بن يحيي الحكمي
أستاذ النحو والصرف المشارك في الكلية الجامعية بالوجه، جامعة تبوك
المملكة العربية السعودية
m-hakami@ut.edu.sa

تاريخ تسلم البحث: ٢٠/ ١٠/ ٢٠٢٤م **تاريخ قبول البحث**: ١٢/ ١١/ ٢٠٢٤م

الملخص:

احتل سياق الحال مكانة كبيرة عند سيبويه، فقد جعله مقياسًا حاسمًا في كثير من الأوقات، وفي مواضع كثيرة من كتابه، فكان له الكلمة الفصل في بيان مقاصد الكلام، وما يترتب عليه من توجيهات نحوية وصرفية. وسياق الحال أو ما يعرف بالموقف الكلامي أو السياق غير اللغوي بدا ظاهر عند سيبويه من خلال ثلاثة مظاهر، هي مدار هذا البحث وجوهره، وقد تمثلت تلك المظاهر الثلاثة في التوجيه بعلم المخاطب، وهو ما تناوله المبحث الأول، والتوجيه بغرض المتكلم، وهو ما تناوله المبحث الثاني، والتوجيه بدلالة الحال المشاهدة، وهو ما دار حوله المبحث الثالث. وقد خرج هذا البحث بجملة من النتائج، من أهمها:

- يعدّ سياق الحال – بجميع عناصره غير اللغوية واحدا من الأسس المنهجية التي اعتمد عليها سيبويه في توجيهاته النحوية والإعرابية للكثير من التراكيب والأمثلة والشواهد الشعرية والقرآنية.
- اتخذ سياق الحال عند سيبويه ثلاثة مظاهر: أحدها: تمثل في غرض المتكلم وإرادته أو المعنى الكامن في نفسه، والثاني: تمثل في التوجيه اعتمادا على علم المخاطَب بالمعنى، وأمّا الثالث، فتمثل في الأحوال المصاحبة للتركيب، أو الحال المشاهدة.
- بدا ظاهرًا اعتماد سيبويه على سياق الحال في التوجيه النحوي والصرفي، وخاصة في ما يتعلق بالحذف تحديدًا، وغير ذلك مما يتطلبه التركيب من توجيه نحوي أو صرفي.

أمّا المنهج الذي اعتمد، فهو المنهج الوصفي التحليلي، فهو الأنسب لطبعة هذا البحث ومقاصده.

الكلمات المفتاحية: سياق، الحال، توجيه، التراكيب، سيبويه.

The Context of the Situation According to Saibawayh

Dr. Mohammed bin Yahya Al-Hakami
Associate Prof. of Grammar and Syntax at the University College in Al-Wajh – Tabuk University
Saudi Arabia
m-hakami@ut.edu.sa

Date of Receiving the Research: 20/10/2024 **Research Acceptance Date:** 12/11/2024

Abstract:

The context of the situation occupied a great position by Saibawayh, as he made it a decisive measure at many times and in many places in his book, so it had the final word in explaining the purposes of speech and the grammatical and morphological directions that result from it. The context of the situation, or what is known as the speech position or the non-linguistic context, appeared clearly by Saibawayh through three aspects, which are the focus and essence of this research. These three aspects were represented in: the direction of the addressee's knowledge, which is what the first chapter dealt with, the direction of the speaker's purpose, which is what the second chapter addressed, and the direction by the indication of the observed situation, which is what the third chapter revolved around. This research came out with a number of results, the most important of which are:

- The context of the situation – with all its non-linguistic elements – is one of the methodological foundations that Saibawayh relied on in his grammatical and syntactic directions for many structures, examples, and poetic and Quranic evidence.
- The context of the situation according to Saibawayh had three aspects: the first is represented in the speaker's purpose and will or the meaning hidden in himself; the second is represented in the direction based on the addressee's knowledge of the meaning; and the third is represented in the conditions accompanying the structure or the observed situation.
- It was apparent that Saibawayh relied on the context of the situation in the grammatical and morphological direction, especially with regard to deletion specifically, and other things that the structure requires in terms of grammatical or morphological direction.

As for the approach that was adopted, it is the descriptive analytical approach, as it is the most appropriate for the nature of this research and its purposes.

Keywords: Context, situation, direction, structures, Saibawayh.

المقدمة:

لقي كتاب سيبويه منذ ظهوره عناية كبيرة من قبل النحويين واللغويين، فحرصوا على شرحه ودراسته، وتفسير تراكيبه وشواهده، وتذليل صعابه؛ إيمانا منهم بروعة تأليفه، وأصالة بيانه، وقوة إحكامه، وبوصفه أقدم أثر نحوي وصل إلى أيديهم كاملا ناضجا، قدّم فيه صاحبه وصفا دقيقا وتحليلا شافيا لجميع مسائل النحو والصرف. ومن هنا جاءت فكرة الذي البحث تحت عنوان (سياق الحال وتوجيه التراكيب عند سيبويه)، أحاول فيه أن أتناول واحدا من الأسس المنهجية التي اعتمد عليها سيبويه في توجيهاته النحوية والإعرابية، وذلك من خلال استقراء المسائل النحوية التي تضمنها كتابه، ومعرفة كيفية عرضه وتحليله للمادة اللغوية التي وردت بين دفتيه.

وقد **دفعني إلى كتابة هذا البحث** أمران:

الأول: أن موضوع توجيه التراكيب نحويا وإعرابيا من الموضوعات التي يشقى بها كثير من الدارسين على اختلاف مستوياتهم؛ ويرجع ذلك إلى جهلهم بالأسس المنهجية التي يمكن أن يعتمدوا عليها عند التوجيه النحوي والإعرابي لما يعرض عليهم من مسائل وقضايا نحوية.

الثاني: أن أغلب البحوث التي تناولت فكرة التوجيه النحوي ـ فيما أعلم ـ قد انصب اهتمامها على التوجيه النحوي والإعرابي للقراءات القرآنية؛ لأن تعدد الأوجه الإعرابية يعدّ وجهًا من أوجه إعجاز القرآن الكريم، ولم تعن تلك البحوث اللغوية بدراسة الأسس التي يستند إليها النحويون ـ وخاصة سيبويه ـ عند توجيه التراكيب نحويا وإعرابيا.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على جزئية محددة في كتاب سيبويه، وهي دور سياق الحال -بتمثلاته المختلفة – في التوجيهات النحوية والصرفية عند سيبويه. أهمية البحث:

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في كشفه عن زاوية مهمة جدا في منهج سيبويه النحوي والصرفي، إذ يتناول سياق الحال أو ما يعرف حديثا بالموقف الكلامي، وأثره في بيان مقاصد الكلام، وما يترتب عليه من توجيهات نحوية وصرفية.

أسئلة البحث وفروضه:

- ما لأسس المنهجية التي اعتمدها سيبويه في توجيهاته النحوية والصرفية؟
- هل كان سيبويه يعي مفهوم سياق الحال ودوره في التوجيه النحوي والصرفي؟

- ما هي تمثلات سياق الحال وجوانبه التي اعتمدها في التوجيه النحوي والصرفي؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث لمعرفة مفهوم سياق الحال عند سيبويه، ومدى إدراكه له، ومعرفة دوره في التوجيه النحوي والصرفي عند سيبويه.

وقد اعتمدت في هذا البحث على **المنهج** الوصفي والتحليلي، وكذلك المنهج الاستقرائي، فهما المناسبان لطبيعة هذا البحث ومقاصده، وذلك من خلال الوقوف على كتاب سيبويه وتتبع الأمثلة والشواهد والتراكيب التي اعتمد فيها سيبويه في توجيهاته النحوية والصرفية على سياق الحال.

الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة الدراسات التي دارت حول سيبويه، وتلك الدراسات التي تناولت السياق بشقيه: اللغوي وغير اللغوي، وأثره في بيان المعنى وتوجيه التراكيب؛ إلّا أنني لم أقف على دراسة تناولت سياق الحال وأثره في توجيه التراكيب النحوية والصرفية في كتاب سيبويه، وهذا ما تناوله البحث الحالي. ومن الدراسات التي قد تلامس هذا البحث وتتقاطع معه من قريب أو بعيد، ولها أثر محدود في هذا البحث؛ الدراسات الآتية:

- أثر سياق الحال في الدلالة على الزمان في التعبير القرآني، الدكتور: رياض عبدالله البديري، ومؤيد عبد المنعم موسى الشميساوي، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، أكتوبر، ٢٠١٩.
- سياق الحال في فهم خطاب القرآن والسنة لدى الطاهر ابن عاشور، زعطوط حسين محمد، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م.
- أثر السياق في توجيه أساليب النحو في القرآن الكريم، علي عبد الأمير هبن العابدي، ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، ١٤٤١هـ- ٢٠٢١م.
- سياق الحال، دراسة نظرية تطبيقية في القرآن الكريم أنموذجًا، محمد محمد الحسيني العشري، مكتبة الآداب، ٢٠١٤٤م.
- السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي، الدكتور عبد المقصود عامر، شبكة الألوكة. www. alukah. net.

ولعل هذا الأخير هو أقرب ما يكون للبحث الحالي إذ هو ذو طبيعة تطبيقية على كتاب سيبويه، إلّا أنّه تناول السياق الخارجي، أي غير اللغوي من خلال الكلام الفعل الذي دار في الموقف الكلامي، وطبيعة الأشياء المتحدث عنه وطبيعة المتحدثين والعلاقة بينهم، وزمن الكلام. وهذه أمور لم يقف عندها البحث الحالي، باستثناء عنوان واحد وهو (القصد والإدراك)، الذي أورد فيه مثالا واحدا يتقاطع فيه مع بحثنا هذا وهو قولهم: (بعت داري ذراعا)، و(بعت شاتي شاة شاة)، فهذا واحد من الأمثلة التي جرت في المبحث الثاني من هذا البحث وغيرها كثير.

ولا ننكر إفادتنا مع جميع الدراسات المذكورة من حيث المنهج والعرض والتناول، وكذلك تقسيمات البحث ومصادره.

خطة البحث:

تكون هذا البحث من ثلاثة مباحث، تسبقها مقدمة وتمهيد، وتعقبها خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع. وقد توقف التمهيد عند مفهوم: سياق الحال عند سيبويه، ومدى قربه أو بعده من تعريفات اللغويين القدامى والمحدثين. أمّا المبحث الأول، فكان بعنوان: التوجيه بعلم المخاطب، وجاء المبحث الثاني بعنوان: التوجيه بغرض المتكلم. أمّا المبحث الثالث، فجاء بعنوان: التوجيه بدلالة الحال المشاهدة .

ذلك جهد المقلّ، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت أو قصرت، فمني ومن الشيطان.

تمهيد:

سياق الحال عند سيبويه:

أدرك سيبويه منذ وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية أن ثمة عناصر غير لغوية تسهم إلى حد كبير في تشكيل المعنى عند المتلقي، وينعكس أثرها في توجيه التراكيب نحوياً وإعرابياً، وتتمثل هذه العناصر في: المتكلم والمخاطب والمقام أو الظرف والملابسات المحيطة بالكلام، وكلّ ما يقوم بين هذه العناصر من روابط، وتندرج هذه العناصر جميعاً تحت ما يسمى في الدرس اللغوي بـ (سياق الحال).

ولم يستخدم سيبويه مصطلح (سياق الحال) بلفظه، ولكنه أشار إليه بعبارات ورد فيها مصطلح (الحال) مقترباً إلى حد كبير من مفهوم هذا المصطلح عند اللغويين المحدثين، نحو: " ما يرى من الحال"(١)، و"ما فيه من الحال "(٢)، و " ما يرون من الحال "(٣)، و" رأيت ذلك من الحال"(٤) وقد ارتبط المصطلح في معظم المواضع التي ورد فيها بالرؤية والمشاهدة لما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات.

أما اللغويون المحدثون، فيستخدمون مصطلح (سياق الحال) بدلالة أوسع مما أشار إليه سيبويه، حيث يقصد به عندهم: " جملة العناصر المكونة للموقف أو للحالة الكلامية، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية(٥):

شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع إن – وجدوا – وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، ودورهم... أيقتصر على الشهود؟ أم يشاركون من آن لآخر بالكلام، وبالنصوص الكلامية التي تصدر عنهم.

---

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ج ١ / ٢٧٢، ٣٤٠.

(٢) الكتاب، ج ١ / ٢٧٢.

(٣) الكتاب، ج ١ / ٢٧٥.

(٤) الكتاب، ج ١ / ٣٣٩.

(٥) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د / محمود السعران، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٢٥٢.

العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي، ومكان الكلام،... إلخ، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أياً كانت درجة تعلقه.

أثر النص الكلام في المشتركين، كالإقناع، أو الألم، أو الإغراء، أو الضحك، إلخ. وهكذا يتضح أن من أهم خصائص سياق الحال إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم، وسائر المشتركين في الموقف الكلامي(٦).

سياق الحال وأثره في الدرس اللغوي:

يرجع الباحثون الاهتمام بسياق الحال ((context of situation)) إلى عالم اللغة الإنجليزي فيرث ((firth)) خاصة، وسار على هذا الاتجاه أصحاب علم اللغة الاجتماعي، وتوسعوا فيه، فحاولوا أن يتبينوا كيف تتفاعل اللغة مع مجموعة من العوامل الخارجية التي تؤثر في الاستعمال اللغوي تأثيراً كبيراً(٧).

وينبغي أن نشير في هذا الصدد إلى أن علماء العربية – وعلى رأسهم سيبويه – قد اهتدوا في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية والبلاغية إلى ما يحف ظاهرة الكلام من ظروف وملابسات، وغنى عن الإفاضة في القول أن أبرز الملامح في النظر البلاغي عند العرب قام على اشتراط (موافقة الكلام لمقتضى الحال)، واستشعر المقولة السائرة: (لكل مقام مقال) ورصد على وجه التفصيل ـ ما يكون من تأثير السياق، سياق الحال خاصة، وهى حال المتكلم والمخاطب وسائر ما يأتلف من (المقام)، ورصد ما يكون من تأثير ذلك في تشكيل الكلام وتأليفه على هيئات في القول تتنوع وفقاً لتنوع المقامات(٨). وحين قال البلاغيون: (لكل مقام مقال) و (ولكل كلمة من صاحبتها مقام) وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على

(٦) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د / محمود السعران، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٢٥٢.

(٧) ينظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، الدكتور نهاد الموسى، دار البشير ـ مكتبة وسام، الأردن، ط٢، ١٩٨٧ م، ص ٩٣ – ٩٥. وينظر: النحو والدلالة، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، مطبعة المدنية، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، هامش ص ١١٥.

(٨) نظرية النحو العربي، ص ٩٦.

حد سواء. ولم يكن (مالينوفسكي) وهو يصوغ مصطلحه الشهير (context of situation) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها. فالذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح (المقام) ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية -على المستوى العالمي- ما وجده اصطلاح مالينوفسكي من تلك الدعاية؛ بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات وبراعة الدعاية الغربية الدائبة"(٩).

وتعتبر فكرة (المقام) التي اعترف بها البلاغيون أساساً متميزاً من أسس تحليل المعنى، وتعدّ الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة؛ لأنها المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهى الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال(١٠).

وما يجب أن نقرره هنا هو " أن الناظر في اللغة على وجه التقعيد والوصف والتفسير ينتهي بالضرورة إلى اعتبار المتغيرات الخارجية التي تكتنف المادة اللغوية واستعمالاتها "(١١)؛ وذلك لأن المعنى القاموسي أو المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام، فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من معنى الكلام، كشخصية المتكلم، وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به(١٢).

ولما كانت الظواهر اللغوية تخضع لضغوط واعتبارات غير لغوية، وكان من الضروريّ مراعاة هذه الاعتبارات؛ لأن عناصر الكلام تتشكل على ضوئها، ولما لها من صلة دقيقة بخلق الدلالات وتوجيهها بالتضافر مع المكونات الكلامية التي تتعلق بالبناء النحوي ـ لما كان ذلك فقد أولى النحاة عناية كبيرة بالسياقين: السياق اللغوي، وسياق الحال (أو المواقف أو المقام) على حد سواء، وهذا ما يقرره الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، حيث يقول: "ولا يمكن بحال

(٩) اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب ـ القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م، ص ٣٧٢.

(١٠) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٣٧. وجوه المعنى الثلاثة يقصد بها: المعنى الوظيفي: (الصوتي والصرفي والنحوي)، والمعنى المعجمي، والمعني المقامي، ويشكل من مجموعها المعنى الدلالي.

(١١) نظرية النحو العربي، ص ٩٦.

(١٢) ينظر: علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي، ص ٢٦٣.

نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي، وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، وغير ذلك مما درسه ما يعرف بعلم المعاني إذ يدرس أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل "(١٣).

ولعل بحث البعد الخارجي القائم على فكرة المقام أو السياق، وبيان أثره في التحليل والتوجيه النحوي عند سيبويه يعدّ من البحوث البكر التي ينبغي أن تنصرف إليها الهمم، يقول الدكتور نهاد الموسى: " وكنت نظرت في سياق بحث مختلف في كتاب سيبويه ألتمس لديه هذا العنصر من عناصر التحليل، فوجدته منذ ذلك العهد المبكر يفزع إلى (السياق) والملابسات الخارجية وعناصر (المقام)؛ ليردّ ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة إلى أصول النظام النحوي طلباً للاطراد المحكم. وهو ما يوافق فيما صدر عنه في الكتاب ملاحظات كثيرة مما تنبني عليه الوظيفية ومناهج (التوسيع) أو اللغويات الخارجية بعبارة دي سوسير "(١٤).

لقد اعتمد سيبويه على السياق اللغوي اعتماداً كبيراً في التوجيه النحوي، وقد بدا ذلك جلياً عند الحديث عن الاستقامة والإحالة، والتقديم والتأخير والكشف عن أسراره ودلالاته، والقول والحذف، والاستعانة به في تقدير العناصر المحذوفة وردّ التراكيب إلى أصولها. وقد أدرك كذلك أن سياق الحال ضروري لتحديد الدلالة وفهم المعنى، وأنه " كلما كان وصف المقام أكثر تفصيلاً كان المعنى الدلالي أكثر وضوحاً"(١٥)، كما أن غياب عناصر الحال كلها أو بعضها قد يكون سبباً في غموض المعنى المراد من الكلام، أو يجعل المعنى الدلالي محتملاً لوجوه متعددة، وينعكس ذلك على التوجيه النحوي لما يستشهد به من جمل وتراكيب أو نصوص شعرية وقرآنية، فتتعدد المعاني النحوية والأوجه الإعرابية.

والحقيقة التي ينبغي أن نقررها؛ لأنها تبدو ماثلة أمام مَنْ يقرأ كتاب سيبويه، أنه يجمع في هذا الكتاب بين التفسير اللغوي، وملاحظة السياق، ولا يكتفي بالوقوف عند الجانب اللغوي

---

(١٣) النحو والدلالة، ص ١١٣.

(١٤) نظرية النحو العربي، ص ٩٧.

(١٥) المعنى اللغوي وعناصر تحديده في ضوء الدرس اللغوي الحديث، فارس عيسى، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، جامعة عمان الأهلية، مج ١ ع ٢، ١٩٩٢ م، ص ١٣٢..

الخالص الذي ينسجم مع نظرية العامل، بل يتسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها، وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب، وحال المتكلم، وموضوع الكلام، وقد هداه هذا الاتساع إلى استكناه البنية الجوانية للتركيب النحوي، ورسم خطوط هادية في تعلم العربية تعلماً يضع كل تركيب موضعه، ويعرف لكل مقال مقامه(١٦)، وبهذا الاتساع كذلك يلتقى عمل سيبويه مع أحدث الاتجاهات اللغوية الحديثة مع تباعد الزمن والشقة، في أنه كان يعّول كثيراً على سياق الحال(١٧)؛ لتحديد المعنى وتوجيه التراكيب.

إن كلاً من المتكلم والمخاطب والمقام أو الحال عناصر غير لغوية، أو عوامل خارجية أولاها سيبويه عناية كبيرة في توجيهه للكثير من التراكيب النحوية، وفي الحكم باستقامتها أو إحالتها، ونلقى في الكتاب أمثلة كثيرة على ذلك، ولكن ينبغي ونحن بصدد توضيح فكرة البعد الخارجي وبيان أثره في التوجيه النحوي عنده – أن نقسم الكلام بحسب عناصر سياق الحال أو العناصر غير اللغوية التي كانت محل اهتمامه – أكثر من غيرها – عن التوجيه.

وبناء على ما سبق يمكن فإنّه يمكن تقسيم هذا البحث على ثلاثة مباحث تتناول التوجيه عند سيبويه وفق اعتبارات ثلاثة، هي: التوجيه بغرض المتكلم، والتوجيه بعلم المخاطب، والتوجيه بدلالة الحال المشاهدة.

وسيتم تناولها على النحو الآتي:

(١٦) ينظر: نظرية النحو العربي، ص ٩٧.

(١٧) ينظر: النحو والدلالة، ص ١١٥.

المبحث الأول: التوجيه بغرض المتكلم:

إن المتكلم هو القطب الأول والطرف الأساس في عملية الكلام، وغرضه هو المعنى الذي يحمله في نفسه، ويطمح في توصيله إلى المخاطب، ويستخدم في سبيل نقل المعنى الذي يريده الألفاظ والكلمات التي ينتقيها؛ ليؤلف منها الجمل والتراكيب بطريقته الخاصة، فيلجأ أحياناً إلى التقديم والتأخير أو الحذف والاتساع أو النفي والاستفهام أو الوصل والوقف وغير ذلك من ظواهر أسلوبية حسبما يقتضيه المقام ومقتضى الحال.

فالمتكلم يريد من الكلام غرضا وهدفا يطمح في توصيله إلى المخاطب وعليه ـ حينئذٍ ـ أن يكون على وعي بتلك العلاقة بين طبيعة الكلام، وطبيعة المخاطب، والمقام ومقتضى الحال، وذلك يتفق – إلى حد ما – مع ما يقصده الأسلوبيون المحدثون من (نظرية التوصيل)[١٨].

وقد أدرك صاحب الكتاب أن غرض المتكلم وإرادته تنعكس على شكل الجمل والتراكيب التي يختارها، فاعتمد عليه في التوجيه النحوي والإعرابي للكثير من الأمثلة والشواهد التي ذكرها، وفي بيان المعنى المراد منها، ومن ثَمَّ كثر في كتابة الإشارة إلى غرض المتكلم باستخدام الفعل (أراد)[١٩]، وما يشتق منه مثبتاً ومنفياً، نحو: أردت[٢٠]، يريد[٢١]، تريد[٢٢]، أرادوا[٢٣]، يريدون[٢٤]، لم ترد[٢٥]، لم يرد[٢٦]، لم يريدوا[٢٧]، وقد بلغ عدد المواضع التي ورد

(١٨) ينظر: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، الهيئة العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٨٥ م، ص ١١٧.

(١٩) وردت هذه الصورة (١٤٢) مرة، ينظر على سبيل المثال: الكتاب، ج ١ / ٨٢، ١٥٠، ٢١٤، ٢١٩ ـ ج ٢/ ٧، ٥٠، ٩٤، ١٨٧ ـ ج٣/ ٣٢، ٤٥، ٨٨، ١٥٥ ـ ج ٤ / ٢٠، ٦٩، ٩١، ٣٨٤.

(٢٠) وردت هذه الصورة (٣٤٥) مرة ينظر على سبيل المثال: الكتاب، ج ١ / ٢٤، ٣٤، ٤٠، ٥٦ ـ ج ٢ / ٢٩، ٦١، ٧٩، ١١٤، ج ٣ / ٢٢، ٢٨، ٣٢، ٤٤. ج ٤ / ٥٧، ٥٨، ٦٤، ٨٦.

(٢١) وردت هذه (٢٠٤) مرة، ينظر على سبيل المثال: الكتاب، ج ١ / ٢٨، ٥٥، ٩٩، ٢١٢، ٢١٣، ج٢ / ٧، ٨٢، ٨٧، ١١٥، ج٣/ ٩٤، ١٠٨، ١٦٧، ٢٧٣، ج٤ / ٤١، ٤٢، ٧٢، ١٦٩.

(٢٢) وردت هذه (٢٩٥) مرة، ينظر على سبيل المثال: الكتاب، ج ١ / ٣٣، ٤٠، ٤٦، ٦٢ ـ ج٢ / ٦، ٨، ١٤، ٢٩، ج٣ / ١٥، ١٦، ٤٢، ٦٣ ـ ج٤ / ١٢، ٤٢، ٤٣، ٤٤.

(٢٣) وردت هذه الصورة (١٣٨) مرة، ينظر: الكتاب، ج١/ ١١٠، ١٢٨، ٢٠٤، ٣٠٦، ج٢/ ٤٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ج٣/ ٩٤، ١٨٧، ١٨٨، ٢١٦، ج٤/ ١٢، ١٣، ٤٣، ٤٩.

(٢٤) وردت هذه الصورة (٧٠) مرة، ينظر الكتاب: ج١/ ٨٦، ٢٠٣، ٣٧٤، ج٢/ ١٥٨، ٢٥٦، ٣٤٦.

(٢٥) وردت هذه الصورة (٧٣) مرة، ينظر الكتاب: ج١ / ١٩، ١٣٠، ١٧٥، ج٢ / ٥٠، ٦١، ١٨٩.

(٢٦) وردت هذه الصورة (٤١) مرة. ينظر الكتاب: ج١ / ٧٩، ١٠٩، ٢٧٠، ج٢/ ٥١، ٧٠، ٧٤.

(٢٧) وردت هذه الصورة (١٩) مرة، ينظر الكتاب: ج١/ ٧٣، ٣٢٠، ج٢ / ١٢٧، ٣٧٠، ج٣/ ١٦٤، ٢١٨.

فيها هذا الفعل ومشتقاته (١٣٢٧) ألفاً وثلاثمائة وسبعة وعشرين موضعاً، وهو في معظم الحالات يبين المعنى القائم في نفس المتكلم؛ ليوجه على ضوئه الإعراب الصحيح للتراكيب، ومن أمثلة ذلك:

١. يعتمد سيبويه على غرض المتكلم وإرادته في توجيه حالتين إعرابيتين تجوزان في تركيب واحد، كما هو في توجيه النصب والجر لكلمة (شبيه)، في نحو: (ما زيدٌ كعمروٍ ولا شبيهاً به أو لا شبيهٍ به)، فيوجه النصب قائلاً: " النصب في هذا جيد؛ لأنك إنما تريد ما هو مثل فلان... هذا وجه ـ معنى ـ الكلام "(٢٨).

فالمتكلم في حالة النصب نفى عن زيد أن يكون شبيهاً لعمروٍ، ولم يثبت لعمرو شبيها(٢٩)، والمعنى: ما زيدٌ كعمروٍ، وما زيدٌ شبيهاً بعمروٍ، وتنصب (شبيهاً) بالعطف على موضع (الكاف)، وموضعها منصوب بخبر (ما)(٣٠).

ويوجّه حالة الجرّ قائلاً: " فإن أردت أن تقول: ولا بمنزلة من يشبهه جررت، وذلك قولك: ما أنت كزيدٍ ولا شبيهٍ به، فإنما أردت ولا كشبيهٍ به"(٣١).

ويوضح السيرافي ذلك، فيقول: " وإذا قلت: (ما زيد كعمرو ولا شبيهٍ به)، فمعناه: ما زيد كعمروٍ ولا كشبيهٍ بعمروٍ، فقد أثبتَ لعمرو شبيهاً، ثم نفيتَ عن (زيد) شبه عمرو، وشبه شبيهه "(٣٢).

وقال أبو الحسن في قوله: (ما أنت كزيدٍ ولا شبيهاً به) إذا جررت الشبيه، فقد أثبتّ لزيدٍ شبيهاً، وإذا نصبت لم تثبت له شبيهاً، وهذا هو تلخيص كلام سيبويه "(٣٣).

ويفهم من ذلك أن الفيصل في توجيه حالتي النصب والجر في هذا الموضع إنما هو غرض المتكلم وما يحمله في نفسه من معنى.

---

(٢٨) الكتاب، ج١/ ٢٩٣.

(٢٩) ينظر: سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق ط ١، ١٩٨٥م، ج ١ / ٢٩٣

(٣٠) ينظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: الدكتور فهمي أبو الفضل، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م، ج٣/ ٥٦.

(٣١) الكتاب، ج١/ ٦٩.

(٣٢) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج٣ / ٥٦.

(٣٣) سر صناعة الإعراب، ج ١ / ٢٩٥.

ومن ذلك أيضاً: توجيه رفع (منطلق) ونصبه، في نحو: (هذا الرجل منطلق ومنطلقاً) و (هذا عبد الله منطلقٌ ومنطلقاً)، معتمداً في ذلك على إرادة المتكلم واختياره، فقد وجّه الرفع على أنه (خبر)، يقول في باب ما يرتفع فيه الخبر لأنّه مبني على مبتدأ، أو ينتصب فيه الخبر؛ لأنّه حال لمعروف مبني على مبتدأ): "فأما الرفع، فقولك: هذا الرجل منطلق، فالرجل صفة لهذا، وهما بمنزلة اسم واحد، كأنك قلت: هذا منطلق"(٣٤)، فـ (هذا): مبتدأ، والرجل و(عبد الله): صفة لـ (هذا) و (منطلق): خبره، وهذا مع الاسم الذي بعده بمنزلة اسم واحد، كأنك قلت: هذا منطلق(٣٥).

وكان السيرافي قد ذكر أربعة أوجه في رفع (منطلق)، الوجهان: الأول والثاني ذكرهما سيبويه عن الخليل، فأولهما: أن تكون (منطلق) خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير: هذا منطلق أو هو منطلق. والوجه الثاني: أن تكون (منطلق) خبراً ثانياً لـ (هذا) على سبيل تعدد الأخبار، كما في قولك: هذا حُلْوٌ حامِضٌ، لا تريد أن تنقص الحلاوة، ولكنك تزعم أنه جمع الطعمين. أما الوجهان الآخران من الرفع، فأحدهما: أن يجعل (الرجل) وعبد الله معطوفاً على (هذا) عطف بيان، كأنه قال: الرجل منطلق أو عبد الله منطلق، ويكون أيضاً بدلاً من (هذا) في هذا الوجه، والوجه الثاني: أن يكون (منطلق) بدلاً من (زيد)، فيكون التقدير: هذا منطلق، وتقديره: هذا زيدٌ رجلٌ منطلق، فتبدل (رجل) من (زيد) ثم تحذف الموصوف وتقيم الصفة مقامه(٣٦).

ووجه النصب على (الحال)، يقول: " وأما النصب، فقولك: هذا الرجل منطلقاً، جعلت الرجل مبنياً على هذا، وجعلت الخبر حالاً قد صار فيها، كقولك: هذا عبد الله منطلقاً. وإنما يريد في هذا الموضع أن يُذكَر المخاطَب برجل قد عرفه قبل ذلك، وهو في الرفع لا يريد أن يذكره بأحد، وإنما أشار، فقال: هذا منطلق"(٣٧)، فـ (هذا): مبتدأ، والرجل و(عبد الله): خبره، و (منطلقاً): حال؛ وذلك لأن المتكلم هنا لا يريد أن يعرف المخاطب بالرجل – أو بعبد الله – وإنما أراد أن ينبهه له منطلقاً؛ أي إنه يريد الحال؛ " لأن المعنى: انتبه له في هذه الحال"(٣٨).

---

(٣٤) الكتاب، ج٢/ ٨٦

(٣٥) ينظر: شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج٦/ ١٧٢.

(٣٦) ينظر: شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج ٦/ ١٦٩، ١٧٠.

(٣٧) الكتاب، ج ٢/ ٨٦، ٨٧.

(٣٨) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج ٦/ ١٧٣.

ومنه اعتماده على غرض المتكلم وإرادته في توجيه حالتي النصب والرفع لكلمة (عمرو) في نحو: (زيداً لقيت أباه وعمراً وعمروٌ)، فإنما ينتصب " إن أردت أنك لقيت عمراً والأبَ "(٣٩). فـ (عمراً) منصوب على أنه مفعول به، والعامل فيه الفعل (لقي) المحذوف، والتقدير: زيدٌ لقيت أباه، ولقيت عمراً.

ويواصل سيبويه كلامه موجّهاً حالة الرفع، فيقول: " وإن زعمت أنك لقيت أبا عمرو ولم تلقه – أي لم تلق عمراً – رفعت "(٤٠)، فالمعنى هنا أنك لقيت أبا زيد وأبا عمرو، والتقدير: زيدٌ لقيت أباه وعمرو لقيت أباه، وعلى هذا التقدير تكون كلمة (عمرو) مرفوعة بالابتداء ومحمولة على (زيد) الذي هو مبتدأ، والخبر محذوف يدل عليه خبر المبتدأ المذكور في الجملة المتقدمة (المعطوف عليها)، ويعدّ هذا من قبيل عطف جملة على جملة.

وقد أشار سيبويه إلى أن حالتي الرفع والنصب تتصلان باختيار المتكلم، والتقدير هو الذي يوضح الإعراب. قال: (فهذا يقوي أنك بالخيار في الوجهين)؛ أي الرفع والنصب"(٤١).

ويوجه حالتي الرفع والنصب في قول العرب للرجل الذي قدم من سفر: (خَيْرُ مَقْدَمٍ) برفع (خير) أو (خيرَ مقدم) بالنصب، اعتماداً على ما يحمله المتكلم في نفسه من معنى، يقول: " فإذا رفعت هذه الأشياء، فالذي في نفسك ما أظهرت، وإذا نصبت فالذي في نفسك غير ما أظهرت، وهو الفعل، والذي أظهرت الاسم"(٤٢)، يقول السيرافي: " يعني أنك إذا رفعت، فالذي أضمرت مبتدأ، والذي ظهر هو خبره، والمبتدأ هو الخبر – في المعنى –، وإذا نصبت، فالذي أضمرت فعلاً، والفعل غير الاسم "(٤٣). فالتقدير في حالة الرفع (قُدُومُك خيرُ مَقْدَمٍ)، وعليه تكون (خير) مرفوعًا؛ لأنه خبر لمبتدأ محذوف، أما في حالة النصب، فالتقدير: (قدمت خيرَ مقدم)، وعليه تكون (خير) منصوبة؛ لأنها مفعول لفعل محذوف دلّ عليه الحال الذي هو قدوم الرجل ورؤية المتكلم إياه.

---

(٣٩) الكتاب، ج ١ / ٩١.

(٤٠) الكتاب، ج ١ / ٩١.

(٤١) شرح جمل سيبويه، الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ج١ / ٦٠. وينظر: الكتاب، ج١ / ٩١.

(٤٢) الكتاب، ج١ / ٢٧١.

(٤٣) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج ٥ / ٣٨. وينظر: الكتاب، ج ١ هامش ص ٢٧١.

وغرض المتكلم قد يحوّل التركيب من خبري إلى إنشائي، وينعكس ذلك على التوجيه النحوي والإعرابي لهذا التركيب؛ لأن الإعراب تابع للمعنى القائم في نفس المتكلم، ويتجلى ذلك في توجيه رفع ونصب (خير) في قولهم: (مَنْ ذا خيرٌ أو خيراً منك)، حيث يوجّه الرفع قائلاً: وأما قولهم: مَنْ ذا خيرٌ منك، فهو على قوله: من الذي هو خير منك؛ لأنك لم ترد أن تشير أو تومئ إلى إنسان قد استبان فضله على المسؤول فيُعْلِمَكَهُ، ولكنك أردت مَنْ ذا الذي هو أفضل منك "(٤٤)، فـ (خير) مرفوع؛ لأنه خبر، على أن التقدير: مَنْ ذا الذي هو خيرٌ منك؛ لأن غرض المتكلم هنا أن " يستعمل هذا على إنكار أن يكون أحدٌ خيراً منه، كقولك: مَنْ ذا أرفع من الخليفة؟ والغرض: ما أجد أرفع منه"(٤٥)، فالتركيب في هذه الحالة خبري يحمل معنى النفي والإنكار.

ويستأنف سيبويه كلامه موجّهاً حالة النصب قائلاً: " فإن أومأت إلى إنسان قد استبان لك فضله عليه، فأردت أن يُعْلِمَكَهُ نصبت (خيراً منك)، كما قلت: من ذا قائماً، كأنك قلت: إنما أريد أن أسألك عن هذا الذي قد صار في حالٍ قد فَضَلَك بها "(٤٦)، فـ (خيراً) منصوب على الحال، والتركيب إنشائي؛ فقد خرج مخرج الاستفهام؛ لأن المتكلم هنا يعلم من الحال أن هناك مَنْ استبان فضله، ولكنه لم يعرفه، فأراد أن يستفهم من المسؤول عن هذا الذي صار أفضل منك.

وقد يختار وجهاً إعرابياً بعينه ويفضله على غيره معتمداً في توجيه ذلك على غرض المتكلم وإرادته، ومن ذلك ما يقوله في (باب ما يختار فيه الرفع): " و ذلك قولك: له علمٌ علمُ الفقهاء، وله رأيٌ رأيُ الأصلاء. وإنما كان الرفع في هذا الوجه؛ لأن هذه خصال تذكرها في الرجل، كالحلم والعقل والفضل، ولم ترد أن تخبر بأنك مررت برجل في حال تعلم ولا تفهم، ولكنك أردت أن تذكر الرجل بفضل فيه، وأن تجعل ذلك خصلة قد استكملها، كقولك: له حسبٌ

(٤٤) الكتاب، ج ٢ / ٦٢.
(٤٥) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج٦ / ١٤٩.
(٤٦) الكتاب، ج٢ / ٦١.

حسبُ الصالحين؛ لأن هذه الأشياء وما يشبهها صارت تحلية – أوصافاً مميزة – عن الناس وعلامات. وعلى هذا الوجه رفع الصوت"(٤٧).

فالكلمات (علم) الثانية وكذلك (رأي) و (حسب) إنما ترتفع على أحد وجهين: إما أن تكون بدلاً من الأول؛ كأنه قال: له علمُ الفقهاء، وله رأى الأصلاء، وله حسب الصالحين، أو على إضمار هُوَ وما أشبهه، كأنه قال: علمٌ هو علمُ الفقهاء، وكان الاختيار فيه للرفع؛ لأنه شيء قد ثبت فيه، فصار بمنزلة اليد والرِّجل(٤٨)؛ فالمتكلم هنا يريد أن يذكر في الرجل هذه الخصال (العلم، الرأي، الحسب)، وأن يثبتها له؛ لأن المفهوم من كلام الناس وما جرت عليه العادة أن هذه الأشياء وما يشبهها إنما هي خصال معنوية وعلامات مميّزة يمتدح بها المذكور، ولم يرد المتكلم أنك مررت برجل في حال تعلم ولا تفهم.

ومثل ذلك تفضيله رفع (صوت) الثانية على نصبه في نحو: (له صوتٌ، صوتٌ حسنٌ)، فإنما يرتفع " لأنك إنما أردت الوصف، كأنك قلت: له صوتٌ حسنٌ، وإنما ذكرت الصوت توكيداً ولم ترد أن تحمله على الفعل، لمّا كان صفة، وكان الآخر هو الأول "(٤٩). فـ (صوت) الثانية مرفوعة على أنها صفة لـ (صوت) الأولى، والسبب في ذلك ـ كما يفهم من كلام سيبويه ـ أن المتكلم لم يرد أن يحمل (صوت) الثانية على إضمار فعل يعمل فيه النصب، وإنما أراد الوصف وكرر الصوت توكيداً له، واعتبر الصوت الثاني هو نفسه الصوت الأول، ونعته بالنعت الذي كان للأول، كأنك قلت: له صوتٌ حسنٌ.

ومن ذلك تفضيله رفع المصدر على نصبه في بعض التراكيب، واعتمد في ذلك على غرض المتكلم وإرادته، وهو ما يبدو من قوله: " ومما يسبق فيه الرفع من المصادر لأنه يراد به أن يكون في موضع غير المصدر، قوله: قد خيف منه خَوْفٌ، وقد قيل في ذلك قَوْلٌ. إنما يريد: قد خيف منه أمرٌ أو شيء، وقد قيل في ذلك خيرٌ أو شرٌ، ومثل هذا في المعنى: كان منه كَوْنٌ؛ أي كان من ذلك أمرٌ "(٥٠).

(٤٧) الكتاب، ج١ / ٣٦١، ٣٦٢.
(٤٨) ينظر: شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج٥ / ١٣٦.
(٤٩) الكتاب، ج١/ ٣٦٣.
(٥٠) الكتاب، ج١ / ٣٢، ٣٣.

فالمصدران: (خوف) و (قول) مرفوعان؛ لأن كلاً منهما في جملته نائب الفاعل، أما (كون)، فمرفوع؛ لأنه اسم لـ (كان)، وإنما رُفِعَتْ هذه الكلمات؛ لأن المتكلم لم يرد المصدر (المفعول المطلق)، وإنما أراد كلمات أخرى يدل عليها المصدر، وتفهم من سياق الحال، يقول الدكتور / ياقوت معلقاً على ذلك: " وهذا كله عبارة عن (إحلال دلالي) بين المصدر وبعض الكلمات كما يأتي: (خوف ــ أمر). (خوف ــ شيء). (قول ــ خير). (قول ــ شرٌ). (كون ــ أمر) "(٥١).

وقد جعل سيبويه غرض المتكلم وإرادته فيصلاً في قبول العبارة أو رفضها، ومن ذلك ما ذكره في (باب الجزاء إذا كان القسم في أوَّله)، حيث قال: " وتقول: والله إن آتيتني آتيك، وهو معنى لا آتيك. فإن أردت أن الإتيان يكون، فهو غير جائز، وإن نفيت الإتيان وأردت معنى لا آتيك، فهو مستقيم "(٥٢).

فالتركيب المذكور هنا تقدم فيه القسم على الجزاء ـ الشرط ـ، فالجواب (آتيك) ـ إذن ـ للقسم لا للجزاء، وقد استغنى عن جواب الجزاء؛ لدلالة جواب القسم عليه؛ وذلك " لأن اليمين ـ القسم ـ لآخر الكلام، وما بينهما لا يمنع الآخر أن يكون على اليمين... فإذا بدأت بالقسم لم يجز إلا أن يكون عليه، ألا ترى أنك تقول: لئن أتيتني لا أفعلُ ذاك؛ لأنها لام قسم، ولا يحسن في الكلام لئن تأتيني لا أفعل؛ لأن الآخر لا يكون جزماً "(٥٣).

أما وجه جواز: (والله إنْ آتيتني آتيك)، فهو على أرادة المتكلم معنى النفي، - أي نفي الإتيان – بـ (لا)، على تقدير: لا آتيك(٥٤)، وقد ذكر السيرافي أن العلة في ذلك أن جواب اليمين يجوز إسقاط (لا) منه إذا كان جحدا، مثل: قول الله عز وجل: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾(٥٥)، والمعنى: تالله لا تفتأ، وإنما جاز حذف (لا) من الجواب المنفي؛ لأنه لا يلتبس بالإيجاب؛ لأن جواب القسم المثبت يحتاج إلى لام ونون، كقولك: والله لآتينك، ولا يجوز

(٥١) شرح جمل سيبويه، ج ١ / ١٥٢.
(٥٢) الكتاب، ج٣ / ٨٤.
(٥٣) الكتاب، ج٣ / ٨٤.
(٥٤) ينظر: النحو والمعنى بين سيبويه والدرس الحديث، الدكتور راشد أحمد جراري، بحث منشور بمجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، المجلد الخامس، العدد الثالث، ديسمبر ١٩٩٩ م، ص ٩٦.
(٥٥) سورة يوسف، آية: ٨٥.

إسقاط واحد من اللام والنون، فإذا حذفت اللام والنون من الجواب هنا، علم أنه جحد (نفي)؛ أي على إرادة (لا)(٥٦).

أما وجه عدم جوازه فمبنى على إرادة المتكلم الإثبات ـ أي إثبات الإتيان –، إذ لا يجوز أن يكون التركيب مثبتاً من غير اللام والنون، كما لم يجز: والله إن تأتني آتِك(٥٧).

وكان سيبويه يحرص في توجيه الشواهد النحوية على الابتعاد عن فساد المعنى على وجه العموم(٥٨)، معتمداً في ذلك على غرض المتكلم وإرادته، ومن أمثلة ذلك تعليقه على بيت امرئ القيس(٥٩):

فلَوْ أنَّ مَا أسعَى لأدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أطْلُبْ قَلِيل مِنَ المالِ

بقوله: " فإنما رفع؛ لأنه لم يجعل القليل مطلوباً، وإنما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافياً، ولو لم يرد ذلك ونصب فسد المعنى "(٦٠).

فهو هنا يغوص في نفس المتكلم، ويحاول أن يكشف عما بداخله من معنى مستقيم وغير متناقض؛ ليوجه على أساسه الإعراب الصحيح للشاهد النحوي، وقد رأى أن المعنى القائم في نفس المتكلم (امرئ القيس)، الذي يمكن من خلاله توجيه البيت الشعرى توجيهاً نحوياً سليماً أنه " إنما أراد: لو سعيت لمنزلة دنيئة كفاني قليل من المال ولم أطلب الملك "(٦١)، وعليه ورد (قليل) مرفوعًا على الفاعلية بـ (كفاني)، ولم يُنْصب على المفعولية بـ(أطلب)، ولو لم يطلب المتكلم ذلك ونصب لفسد المعنى؛ لكون الكلام متناقضاً، ووجه التناقض فيه " أن (لو) تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره؛ فإذا كان ما بعدها مثبتاً كان منفياً، نحو (لو جاءني أكرمته)، وإذا كان منفياً كان مثبتاً، نحو (لو لم يسئ لم أعاقِبْه)، وعلى هذا فقوله: (لو أن ما أسعى لأدنى معيشة) منفي؛ لكونه في نفسه مثبتاً وقد دخل عليه حرف الامتناع، وكل شيء امتنع لعلة ثبت

(٥٦) الكتاب، ج ٣ / هامش ص ٨٤.

(٥٧) ينظر: النحو والمعنى بين سيبويه والدرس الحديث، ص ٩٦.

(٥٨) التراكيب غير الصحيحة نحوياً في الكتاب لسيبويه دراسة لغوية، ص ٥٩.

(٥٩) البيت في ديوانه ص ٣٩، ديوان الفرزدق، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، وهو في الكتاب، ج١ / ٧٩.

(٦٠) الكتاب، ج١ / ٧٩.

(٦١) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج٣ / ٩٥.

نقيضه، ونقيض السعي لأدنى معيشة عدم السعي لأدنى معيشة، وقوله: (ولم أطلب) مثبت؛ لكونه منفياً بـ (لم)، وقد دخل عليه حرف الامتناع؛ فلو وجِّه إلى (قليل)، وجب فيه إثبات طلب القليل، وهو عين ما نفاه أولاً، وإذا بطل ذلك، تعين أن يكون مفعول (أطلب) محذوفاً، وتقديره (ولم أطلب الملك)، ومقتضى ذلك أنه طلبٌ للملك، وهو المراد "(٦٢).

ويرى سيبويه أن من كلام العرب اتفاق اللفظين والمعنى مختلف(٦٣)، وينعكس اختلاف المعنى وتعدده بحسب سياقات الكلام وغرض المتكلم وإرادته على عملية التوجيه النحوي للتراكيب بتعدد الأوجه.

ومن أمثلة الكلمات التي يصدق عليها ذلك؛ لأنها تحتمل وجهين دلاليين يؤثر كل وجه منهما في عملية التوجيه النحوي، الأفعال (رأى – وجد – علم).

ففيما يتعلق بالفعلين: (رأى) و (وجد)، يقول: " وإن قلت رأيت فأردت رؤية العين، أو جدت، فأردت وجدان الضالة، فهو بمنزلة ضربت، لكنك إنما تريد بـ{وجدت}: عَلِمْتُ، وبـ{رأيت} ذلك أيضاً، ألا ترى أنه يجوز للأعمى أن يقول: رأيت زيداً الصالحَ"(٦٤).

ويوضح السيرافي ذلك، فيقول: " (رأيت) إذا أردت به رؤية العين، بمنزلة: (أبصرت) يتعدى إلى مفعول واحد، تقول: رأيت زيداً، كما تقول: أبصرت زيداً، وإذا كانت الرؤية للقلب تعدت إلى مفعولين"(٦٥)، نحو: رأى عبدُ الله زيداً صاحبَنا(٦٦).

ويقول الدكتور نهاد الموسى مبيناً الوجهين الدلاليين والمعنيين النحويين اللذين يأتي عليهما الفعل (رأى) من خلال ما فهمه من كلام سيبويه: "ويمتحن سيبويه الفعل (رأى)، فيرى له عمقين دلاليين، فهو يأتي على معنى الإبصار الحسّي (رؤية العين)، وعلى معنى العلم الضمنيّ، ويرى له ـ أيضاً ـ معنيين نحويين، فهو على معنى الإبصار، يتعدى إلى مفعول واحد، وهو على معنى البصيرة، يتعدى إلى مفعولين، ويفزع سيبويه في البيان عن فَرْق ما بين المعنيين إلى المجال

(٦٢) شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢١٨.

(٦٣) ينظر: الكتاب، ج١ / ٢٤.

(٦٤) الكتاب، ج١ / ٢٤.

(٦٥) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج٢ / ٣١٨.

(٦٦) ينظر: الكتاب، ج ١ / ٣٩.

الاجتماعي، ويجرد من معطياته موقفاً ساطع الدلالة هو موقف المتكلم إذا كان أعمى، فيقول متسائلاً: ألا ترى أنه يجوز للأعمى أن يقول: رأيت زيداً الصالحَ "[٦٧].

والفعل (وجد) له كذلك بعدان دلاليان ومعنيان نحويان؛ أما البعد الأول، فهو إذا أراد به المتكلم وجدان الضالة، نحو: وجد عبد الله ضالته، إذا أصابها، فهو يتعدى إلى مفعول واحد[٦٨]. وأما البعد الثاني، فهو إذا أردت به وجود القلب، بمعنى علمت، فهو يتعدى إلى مفعولين، نحو: وجد عبد الله زيداً ذا الحفاظ (على العهد)[٦٩].

الفعل	غرض المتكلم وإرادته (الدلالة)	المعنى النحوي
رأى	رؤية العين، بمعنى (أبصر)	يتعدى لمفعول واحد
رأى	رؤية القلب، بمعنى (علم)	يتعدى لمفعولين
وجد	وجدان الضالة، بمعنى (أصاب)	يتعدى لمفعول واحد
وجد	وجدان القلب، بمعنى (علم)	يتعدى لمفعولين
علم	بمعنى عرف	يتعدى لمفعول واحد
علم	علم اليقين (على أصلها)	يتعدى لمفعولين

وفيما يتعلق بالفعل (علم)، يقول سيبويه " وقد يكون علمت بمنزلة عرفت، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾[٧٠]، وقال سبحانه: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٧١]، فهي هنا بمنزلة (عَرَفْتَ) كما كانت (رأيت) على وجهين"[٧٢].

فهو هنا يستشهد بالآيتين على استعمال (علم) بمعنى (عرف)، فتنصب مفعولاً واحداً بخلاف (علم) المفيدة لليقين التي تنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر "[٧٣]، نحو: علمت زيداً الطريف[٧٤].

(٦٧) نظرية النحو العربي، ص ١٠٣، ١٠٤.
(٦٨) ينظر: شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج٢ / ٣١٨.
(٦٩) ينظر: الكتاب، ج ١ / ٣٩.
(٧٠) سورة البقرة، آية: ٦٥.
(٧١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.
(٧٢) الكتاب، ج١ / ٤٠.
(٧٣) الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، الدكتور محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ص ٢٩.
(٧٤) ينظر: الكتاب، ج١ / ٤٠.

أخلص مما سبق إلى القول بأن سيبويه قد جعل الإعراب تابعاً للمعنى الكامن في نفس المتكلم، وقرر في كثير من المسائل مسايرة الإعراب للمعنى، ورد الأمر في اختلاف الإعراب إلى اختلاف المعنى، وفي ذلك محاولة منه لربط اللغة بالنفس(٧٥).

وقد تبين مما سبق كذلك أن غرض المتكلم وإرادته – واحد من أهم العناصر غير اللغوية التي كانت أساساً في توجيه المعنى النحوي عند سيبويه، وقد أولاه عناية كبيرة في بيان الدلالة المرادة من التراكيب، وتوجيهها توجيهاً نحوياً وإعرابياً.

المبحث الثاني: التوجيه بعلم المخاطب

يعدّ المخاطب (المستمع/ المتلقي) القطب الثاني من أقطاب عملية الكلام، وهو عند سيبويه " ابن اللغة native speaker الذي يستطيع أن يدرك ما في التركيب النحوي للجملة من الحذف، والزيادة، والتكرار، والتقديم والتأخير، والاتساع في المعنى وغير ذلك من الظواهر التي تصيب التركيب النحوي للجملة، وابن اللغة أيضاً هو الذي يستطيع أن يعرف دلالة التراكيب والعبارات التي تجرى على الألسنة، والتي سجلها سيبويه في كتابه في ضوء ما أسماه كلام الناس"(٧٦).

وقد تنبه سيبويه إلى أن علم المخاطب بالمعنى المراد من الكلام، ومعرفته بنظام اللغة وقواعدها المختلفة، وإدراكه ما يعترى التراكيب من ظواهر لغوية ـ ينعكس على بناء التراكيب المختارة من قبل المتكلم على نسق معين تتحقق من خلاله عملية التواصل والإفادة التي يسعى إليها الطرفان (المتكلم والمخاطب)، ومن ثم اعتمد هذا العلم وذلك الإدراك في توجيه كثير من التراكيب والشواهد النحوية التي وردت في كتابه، واستخدم في هذا الصدد عبارات تشير إلى ذلك، نحو: "لعلم المخاطب بالمعنى "(٧٧)، و"لعلم المخاطب بما يعنى"(٧٨)، و" لأن المخاطب

(٧٥) ينظر: حول كتاب سيبويه، د. محمد على الربح هاشم، مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم، ع٢، ١٩٧٥ م، ص ٢٦، ٢٧.
(٧٦) التراكيب الصحيحة نحوياً في الكتاب لسيبويه، دراسة لغوية، الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية، ٢٠٠٢ م، ص ٣٩٣.
(٧٧) الكتاب، ج ١ / ٢١٢.
(٧٨) الكتاب، ج ١ / ٤٧.

يعلم ما يعنى "[٧٩]، و" لأن المخاطب قد علم ما يعني "[٨٠]، و"استغناء بعلم المخاطب بما يعني "[٨١]، و" استغناء بعلم المخاطب "[٨٢]، و" اكتفاء بعلم المخاطب ما يعني "[٨٣]، و" لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب"[٨٤]، و" اجتزاء بعلم المخاطب"[٨٥]، و"لعلم المخبر لأيّ شيء وضع هذا الكلام"[٨٦]، وغيرها[٨٧] من العبارات التي تدل على اعتماد سيبويه على فهم المخاطب وعلمه بالمعنى في توجيه التراكيب، وفي الكتاب نماذج كثيرة توضح ذلك منها:

١. اعتمد سيبويه على علم المخاطب بالمعنى في توجيه حذف (الثّمن) في نحو قول العرب: (كان البُرُّ قفيزين) و(وكان السمن مَنَوَيْن)، فلم يقولوا (بدرهم) أو نحو ذلك استغناء بعلم المخاطب، يقول: " وأما قول الناس: كان البُرُّ قَفيزَيْنِ، وكان السمن مَنَوَيْن، فإنما استغنوا هنا عن ذكر الدرهم لما في صدورهم من علمه، ولأن الدرهم يسعَّر عليه، فكأنهم إنما يسألون عن ثمن الدرهم في هذا الموضع، كما يقولون، البُرُّ بستين، وتركوا ذكر الكُرّ[٨٨]؛ استغناء بما في صدورهم من علمه، وبعلم المخاطب؛ لأن المخاطب قد علم ما يعنى، فكأنه إنما يسأل هنا عن ثمن الكُرّ كما سأل الأول عن ثمن الدرهم، وكذلك هذا وما أشبهه فأَجْرِهِ كما أجرته العرب "[٨٩].

---

(٧٩) الكتاب، ج ١ / ٢٢٤.

(٨٠) الكتاب، ج ١ / ٣٩٣.

(٨١) الكتاب، ج ١ / ٣٤٦.

(٨٢) الكتاب، ج ١ / ٢٤٤، ج٢ / ٢٨٠.

(٨٣) الكتاب، ج ٢ / ٣٤٥.

(٨٤) الكتاب، ج ٢ / ٢٣٣.

(٨٥) الكتاب، ج ٢ / ٣٩١.

(٨٦) الكتاب، ج ٣، ٨٣.

(٨٧) ينظر: الكتاب، ج١ / ٧٤، ٧٦، ٢٨٣، ج٢ / ٢٠٨، ٢٩٤، ٢٩٧، ج٣ / ٢٧، ١٠٤، ٥٦٣.

(٨٨) الكُرُّ: مكيال لأهل العراق، وهو ستون قفيزاً، والقفيز مَكاكيك، والمَكُّوك: صَاع وَنصف، وَهُوَ ثلاثُ كِيلَجات. والكُرُّ على هَذَا الحِسابِ اثْنَا عشر وَسْقاً، كلُّ وَسْق ستُّون صَاعا. ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ج٩/ ٣٢٧- ٣٢٨.

(٨٩) الكتاب، ج ٣، ٣٩٣.

ويوضح السيرافي ذلك فيقول: " يريد أنهم قد حذفوا (الثمن) في هذا لما عرف بعادة الناس في ذلك؛ لأنهم قد اعتادوا الابتياع بثمن بعينه، دراهم أو دنانير فتركوا ذكره اكتفاء بمعرفته، كما يقال لنا: الخبز عشرة، أي عشرة أرطال بدرهم، والكُرُّ بثلاثين: يراد الكر من الحنطة، وبينت حسابه باباً باباً؛ لأن الحذف... غير مغيّر – للمعنى – لَمَّا عرف مكانه"(٩٠).

وقد علل المبرد هذا الحذف ونحوه بقوله: " فكل ما كان معلوماً في القول جارياً عند الناس فحذفه جائز لعلم المخاطب "(٩١).

ويفهم من ذلك أن سيبويه يربط الحذف بعلم المخاطب بالمعنى المراد من الكلام، وهو علم مختزن في ذاكرة المخاطب اللغوية من كثرة الاستعمال، ومما جرت عليه عادة الناس وعرفهم في ذلك الوقت، وهو ما يمكنه من فهم المعنى المقصود وبدون تقدير للمحذوفات.

تنبّه سيبويه إلى أن لموقف الخطاب حالات متباينة، وأن العبارة اللغوية تتباين على قدر ذلك، فإذا كنت تستمهل رجلاً، على حدته، رأيته يعالج شيئاً، قلتَ: رُوَيْدَاً، وكذلك إذا كنت تستمهل اثنين أو أكثر، أو امرأة أو أكثر، أما إذا كنت تستمهل رجلا في جماعة، فإنك تقول: رُوَيْدكَ، وكذا إذا كنت تستمهل امرأة في جماعة، فإنك تقول: رُوَيْدكِ.... إلخ(٩٢)، يقول سيبويه: " واعلم أن (رُوَيْدَاً) تلحقها الكاف وهى في موضع افعل، وذلك قولك رويداً زيداً، ورويدكم زيداً، وهذه الكاف التي لحقت رويداً إنما لحقت لتبيّن المخاطب المخصوص؛ لأن رُوَيدَ تقع للواحد، والجميع، والذكر والأنثى، فإنما أدخل الكاف حين خاف التباس مَنْ يعنى بِمَنْ لا يعنى، وإنما حذفها في الأول استغناء بعلم المخاطب أنه لا يعنى غيره "(٩٣).

ويفهم من ذلك أن الكاف التي تلحق اسم الفعل (رويدكَ) – و (كم) في (رويدكم) – إنما هي علامة على مَنْ له الخطاب، تأتى لتبيّنه وتحدده، ويحرص المتكلم على ذكرها إذا خاف على المخاطب أن يلبس من يعني بمن لا يعني، ويحذفه استغناء بعلم المخاطب أنه لا يعنى غيره.

---

(٩٠) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج ٦ / ١٠.

(٩١) المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ج ٣ / ٢٥٤.

(٩٢) ينظر: نظرية النحو العربي، ص ١٠٥.

(٩٣) الكتاب، ج١ / ٤٧.

فسيبويه هنا يعوّل عند الحذف على فهم المخاطب وعلمه بالمعنى المراد؛ لأن المتكلم يحرص على الإفادة والإفهام والابتعاد عن اللبس، ومتى اطمأن إلى ذلك جاز له أن يعدل عن أصل الوضع والحذف أو غيره.

وفي توجيه الشواهد الشعرية يستدل سيبويه بعلم المخاطب على فهم المحذوف من الكلام، ومن ذلك استدلاله بعلم المخاطب على حذف اسم (كان) في قول عمرو بن شأس(٩٤):

بنى أَسدٍ هَلْ تعلمون بَلاءَنا إذا كانَ يوماً ذَا كَواكب أَشْنَعا(٩٥)

حيث علق على هذا البيت قائلاً: " أضمر لعلم المخاطب بما يعني، وهو اليوم"(٩٦)؛ فالتقدير: إذا كان اليومُ يوماً ذا كواكب أشنعا، وإنما حذف لعلم المخاطب، ومعناه: إذا كان اليوم الذي يقع فيه القتال يوماً ذا كواكب(٩٧).

ومن ذلك أيضاً استدلاله بعلم المخاطب على حذف (الفعل) في قول الشاعر(٩٨):

وَعَدْتَ وكان الخُلْفُ منك سجيَّةً مواعيدَ عُرْقُوبٍ أخاه بيثرب(٩٩)

---

(٩٤) البيت لعمرو بن شأس ديوانه= شعر عمر بن شأس الأسدي، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٧٦م، ص: ٣١، وهو له في الكتاب، ج١ / ٢٤٤، وشرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج١/ ٣٠٢.

(٩٥) الشُّنْع والشَّناعة والشُّنوع، كلُّ هَذَا من قُبح الشَّيْء الَّذِي يُستَشنَع قُبْحه، وَهُوَ شنيعٌ أشنع، وقِصَّةٌ شَنْعاء، ورجلٌ أشنعُ الخَلْق. ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري ج١/ ٢٧٦.

(٩٦) الكتاب، ج١ / ٤٧.

(٩٧) ينظر: شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج ٢ / ٣٧٠.

(٩٨) البيت للأشجعي في تهذيب اللغة، ج٣/ ١٨٦، والصحاح للجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج ١/ ٩١، ومن غير عزو في جمهرة اللغة، لابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، ج١/ ١٧٣.

(٩٩) عرقوب: المشار إليه في البيت هو عرقوب بن صخر، من العماليق، يضرب به المثل في خلف الوعد. وكان من خبره أنه قد وعد رجلاً من العرب نخلة يطعمه طلعها، فلما أطلعت أتاه الرجل يلتمس ما وعده، فقال له: اتركها حتى تصير بلحاً، فتركها، فلما أبلحت أتاه، فقال اتركها حتى تصير بُسراً. فلما أبسرت أتاه، فقال: اتركها حتى ترطب، فلما أرطبت أتاه، فقال له: حتى تصير تمراً. فلما أَتْمَرَت، عمد إليها عرقوب فجذّها بالليل، فجا الرجل ورآها لا شيء فيها. فضربت العرب بعرقوب المثل في الإخلاف. ينظر: تهذيب اللغة، ج٣/ ١٨٥- ١٨٦.

حيث علق على هذا البيت قائلاً: " كأَنه قال: واعَدْتَنى مَواعيدَ عرقوبٍ أخاه، ولكنه ترك واعدتَنى استغناءً بما هو فيه من ذكر الخُلْفِ، واكتفاءً بعلم من يعنى بما كان بينهما قبل ذلك"(١٠٠).

ويستشهد بالبيت على نصب مواعيد بإضمار فعل(١٠١)، كأنه قال: واعدتنى مواعيد عرقوب، لكنه استغنى عن الفعل؛ لدلالة الحال وعلم المخاطب بالمعنى.

وفي باب التنازع يرى سيبويه إعمال الفعل الثاني لقربه من المعمول (المتنازع عليه)، ومثل لذلك بقوله: ضربت وضربنى زيدٌ، وفيه أعمل الفعل الثاني في (زيد) فرفعه على الفاعلية، وحذف مفعول الفعل الأول؛ لأنّ المخاطب قد علم أنه واقع بزيد، حيث يقول معلقاً على المثال المذكور: " وإنما كان الذي يليه أولى لقرب جواره وأنه لا ينقض معنى، وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد "(١٠٢).

ويأتي سيبويه بشاهد من القرآن الكريم يقوى به ما ذكره من جواز حذف المفعول – الذي هو فضله – لعلم المخاطب به، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾(١٠٣)، فالمخاطبون يعلمون أن (الذاكرات) متعديات في المعنى، وكذلك (الحافظات)؛ لأن المعنى والحافظاتها والذاكراته(١٠٤)، وقد حذف المفعول به بعد اسم الفاعل (الحافظات) و (الذاكرات)؛ لعلم المخاطب به، والاكتفاء بدلالة ما تقدم عليه، وقد علل الأنباري هذا الحذف ونحوه بقوله: " لأنهم قد يستغنون ببعض الألفاظ عن بعض، إذا كان في الملفوظ دلالة على المحذوف لعلم المخاطب".(١٠٥)

(١٠٠) الكتاب، ج ١ / ٢٧٢.

(١٠١) ينظر: شرح أبيات سيبويه، ابن السيرافي، ج ١ / ٣٢٥.

(١٠٢) الكتاب، ج ١ / ٧٤.

(١٠٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(١٠٤) ينظر: المقتضب، للمبرد، ج٤ / ٧٢.

(١٠٥) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٩٦١م، ج ١ / ٩٣.

ويقوي سيبويه ذلك بجواز حذف خبر المبتدأ ـ وهو عمدة وحذفه أشد من حذف الفضلة (المفعول به)؛ ـ لعلم المخاطب، واكتفاء بخبر المبتدأ الثاني، ويستشهد على ذلك بأبيات من الشعر، منها قول قيس بن الخطيم(١٠٦):

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عندكَ راضٍ والرأْيُ مُخْتَلِفُ

حيث "أراد: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض، فاجتزأ بخبر الواحد عن خبر الجميع"(١٠٧)؛ أي إنه حذف خبر المبتدأ الأول (نحن) واكتفي بخبر المبتدأ الثاني (أنت)؛ لعلم المخاطب به.

ومن ذلك أيضاً قول ضَابئ البُرْجُمِي(١٠٨):

فمن يَكُ أمسى بالمدينة رَحْلُهُ فإني وقَيّاراً بها لغريبُ

والتقدير فيه: فإني بها لغريب، وإن قياراً بها لغريب، وعليه فقوله: (لغريب) خبر عن أحدهما، وقد استغنى بذكره عن خبر الآخر؛ لعلم المخاطب به.

وقد علق سيبويه على هذين البيتين وغيرهما(١٠٩)، مما حذف فيه خبر المبتدأ؛ لعلم المخاطب به، بقوله: " فوضع في موضع الخبر لفظ الواحد؛ لأنه قد علم أن المخاطب سيستدل به على أن الآخرين في هذه الصفة"(١١٠).

ويعني ذلك أنه يعتمد على علم المخاطب في الاستدلال على العناصر المحذوفة من الكلام سواء أكانت هذه العناصر من الفضلات (كالمفعول به) أم من العُمَد (كخبر المبتدأ).

---

(١٠٦) البيت لقيس بن الخطيم في الكتاب، ج ١ / ٧٥، وشرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج١/ ٣٦٤، ولدرهم بن زيد الأنصاري في الإنصاف، ج ١/ ٧٩، ولعمرو بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي في شرح أبيات سيبويه، لابن السيرافي، ج١/ ١٨٦، ومن غير عزو في المقتضب، ج٤/ ٧٢.

(١٠٧) المقتضب، ج ٤ / ٣٧.

(١٠٨) البيت لضابئ البرجمي في الكتاب، ج ١ / ٧٥، وشرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج ١/ ٣٦٥، وشرح أبيات سيبويه، لابن السيرافي، ج١/ ٢٤٤، والصحاح، للجوهري، ج٢/ ٨٠١.

(١٠٩) ينظر: الكتاب، ج ١ / ٧٥.

(١١٠) الكتاب، ج ١ / ٧٦.

وأشار سيبويه إلى ما في الشواهد القرآنية من اتساع الكلام والإيجاز والاختصار وربط ذلك بعلم المخاطب بالمعنى(١١١)، يقول: " ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار، قوله تعالى جده: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾(١١٢)، إنما يريد أهلَ القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا"(١١٣).

ويستشهد بالآية على "جواز الإيجاز في الكلام بحذف المضاف لعلم المخاطب به، فالسؤال إنما يوجه لأهل القرية لا للقرية نفسها، وكان أصل التركيب: واسأل أهل القرية، فحذف (أهل) وهو مضاف وبقي المضاف إليه وهو (القرية) فأخذت كلمة (القرية) الحكم الإعرابي للمضاف بعد حذفه فتعرب مفعولاً به. وهذا نوع من المجاز يسمى (المجاز بالحذف) ويعده سيبويه من قبيل اتساع العرب في كلامهم"(١١٤).

ومما جاء على الاتساع والإيجاز كذلك؛ لعلم المخاطب بالمعنى، قوله تعالى: {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}(١١٥)، ويقول سيبويه " وإنما المعنى: بل مكركم في الليل والنهار"(١١٦)؛ " لأن الليل والنهار لا يمكران، ولكن يقع المكر فيهما، وساق الشاهد ليبين جواز التوسع في العربية "(١١٧).

ومثل ذلك الاتساع، قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾(١١٨)، ويقول سيبويه معلقاً على هذه الآية: " فلم يشبهوه بما ينعق، وإنما شبهوه بالمنعوق به، وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع، ولكنه مما جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى "(١١٩).

---

(١١١) ينظر: التراكيب غير الصحيحة نحوياً في كتاب لسيبويه، ص ٣٩٤.
(١١٢) سورة يوسف، آية: ٨٢.
(١١٣) الكتاب، ج ١ / ٢١٢.
(١١٤) الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، ص ٦١.
(١١٥) سورة سبأ، آية: ٣٣.
(١١٦) الكتاب، ج ١ ٢١٢.
(١١٧) الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، ص ٥٧.
(١١٨) سورة البقرة، آية:. ١٧١
(١١٩) الكتاب، ج ١ / ٢١٢.

ويحذف كذلك جواب الشرط للإيجاز ولعلم المخاطب بالمعنى، يقول سيبويه: " وسألت الخليل عن قوله جلّ ذكره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾[١٢٠] أين جوابها؟، وعن قوله جلّ وعلا: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾[١٢١]، و: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[١٢٢]، فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر (الجواب) في كلامهم، لِعِلْمِ المُخبِرِ لأيّ شيء وضع هذا الكلام"[١٢٣].

ويعلق الدكتور/ محمد حماسة على عبارة سيبويه (لعلم المخاطب بالمعنى) – وهي العبارة التي عوّل عليها كثيراً هنا – بقوله: " وعبارة سيبويه (لعلم المخاطب بالمعنى) عبارة ـ على بساطتها ووجازتها ـ خطيرة الأبعاد في دلالتها النافذة، فقد يفهم أن مراد سيبويه أن يقول إن سعة الكلام....؛ أي الانتقال من مستوى إلى مستوى، أو التجاوز في إيقاع العلاقات النحوية بين ما لا تقع فيه عادة.... لا يسوّغه إلا فهم المخاطب، ومعنى ذلك أن هناك اتفاقاً بين المتكلم والمخاطب أبرمه الاتفاق اللغوي ونظامه وقوانينه على علاقات لغوية معينة عندما تجرى في مجالها المألوف يكون لذلك دلالة خاصة؛ وعندما لا تجرى في مجالاتها المألوفة – ويكون ذلك أيضاً بقانون خاص – فإنه يشترط أن يكون المخاطب فاهماً للمعنى"[١٢٤].

ومما سبق يتبيّن أن سيبويه قد اعتمد اعتماداً كبيراً على علم المخاطب بالمعنى في توجيه الكثير من التراكيب اللغوية، والشواهد الشعرية والقرآنية التي وردت في كتابه.

(١٢٠) سورة الزمر، آية: ٧٣.
(١٢١) سورة البقرة، آية ١٦٥.
(١٢٢) سورة الأنعام، آية: ٢٧.
(١٢٣) الكتاب، ج ٣ / ١٠٣.
(١٢٤) النحو والدلالة، ص ٨٧، ٨٨.

المبحث الثالث: التوجيه بدلالة الحال المشاهدة

حرص سيبويه في مواضع كثيرة على بيان الأحوال المصاحبة للتراكيب، وذلك بذكر الظروف والملابسات الخاصة التي تحيط بكل تركيب منها، وقد اتخذ من الحضور والمشاهدة سبيلاً إلى ذلك، وهو ما يبدو من قول ابن جنى: "ولهذا الموضع نفسه ما توقف أبو بكر عن كثير مما أسرع إليه أبو إسحاق من ارتكاب طريق الاشتقاق، واحتج أبو بكر عليه بأنه لا يُؤْمَن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها، ولم ندرِ ما حديثها، ومثل له بقولهم: (رفع عقيرته)، إذا رفع صوته. قال له أبو بكر: فلو ذهبنا نشتق لقولهم: (ع ق ر) من معنى الصوت لبعُد الأمر جداً؛ وإنما هو أن رجلاً قُطِعَتْ إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال الناس: رفع عقيرته؛ أي رجله المعقورة. فقال أبو بكر: فقال أبو إسحاق: لستُ أدفع هذا. ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا: أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر؛ يعنى ما نحن فيه من مشاهد الأحوال والأوائل. فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو، وابن أبى إسحاق، ويونس، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه.... وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهد وذلك الحضور، ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم على غرضٍ دلّته عليه إشارة، لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميع مَنْ يحضر حاله صادقاً فيه، غير مُتَّهَمِ الرأي والنَّحِيزة والعقل"(١٢٥).

فابن جنى يشير في هذا النص إلى عناية سيبويه بالأحوال الشاهدة بالمقصود، بل الحالفة على ما في النفوس من الأغراض والمعاني.

وينطلق سيبويه من معطيات الأحوال المصاحبة للتراكيب التي تشكل في ضوئها المعنى الدلالي والنحوي لكل تركيب منها. في توجيه هذه التراكيب نحوياً وإعرابياً؛ فيردّ التراكيب إلى أصولها، ويقّدر ما يكون قد عرض لها من حذف أو غيره، وقد يحكم على العبارة الواحدة بالحسن مرة وبالقبح مرة أخرى بحسب الظروف والملابسات التي تستخدم فيها، ونلقى في الكتاب نماذج كثيرة تؤيد ذلك، ومنها:

(١٢٥) الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد على النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، ج ١ / ٢٤٩.

١. يحكم سيبويه على العبارة الواحدة بالاستحالة مرة و بالحسن مرة أخرى، رابطاً ذلك بموقف الاستعمال، ومن أمثلة ذلك، قولك: (أنا عبد الله منطلقاً)، قال سيبويه مبيناً وجه الاستحالة: " وذلك أن رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر، فقال: أنا عبد الله منطلقاً، وهو زيدٌ منطلقاً، كان محالاً؛ لأنه إنما أراد أن يخبرك بالانطلاق ولم يقل هُوَ ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية؛ لأن هو وأنا علامتان للمضمر، وإنما يُضمِر إذا علم أنك قد عرفت مَنْ يعنى "(١٢٦).

فقد مثّل سيبويه هنا بجملة تتكون من (مبتدأ + خبر + حال)، وهذا النموذج صحيح نحوياً، وبالرغم من ذلك حكم عليه بالاستحالة؛ لأن " الجمل عند سيبويه لا تنفصل عن سياقها وملابسات استعمالها ودلالتها. فالجملة هنا يخاطب بها مَنْ يعرف المتكلم، فلا حاجة إلى الجمع بين الضمير والاسم، إذ إن الضمائر إنما جيء بها للاختصار وإزالة اللبس، وذلك أن تكرار لفظ الاسم الظاهر فيه إطالة وإلباس، فإذا قيل: زارني صديقي، فأكرمت صديقي، ولم يعلم أن الصديق الثاني هو الأول؛ بل إن الكلام قد يوحى بأنهما متغايران"(١٢٧)، كما تشير معطيات السياق إلى أن المخاطب إنما يحتاج فقط إلى الإخبار عن المبتدأ المضمر بالانطلاق؛ أي كان حق المتكلم أن يقول: أنا منطلق، وهو منطلق، ويستغنى عن الاسم (عبد الله) و (زيد)؛ لمعرفته مسبقاً بالإضمار.

ويستأنف سيبويه كلامه مبيناً وجه الاستحالة في المثال المذكور، ورابطاً ذلك أيضاً بدلالة موقف الاستعمال، فيقول: " إلا إن رجلاً لو كان خلف حائط، أو في موضع تجهله فيه، فقلت: مَنْ أنت؟ فقال: أنا عبد الله منطلقاً في حاجتك، كان حسناً "(١٢٨).

وهنا نجد سيبويه يحكم على الجملة بالاستقامة والحسن؛ " وذلك بسبب متطلبات الموقف اللغوي وظروفه، فالمتكلم يحول بينه وبين المخاطب حائط، فهو بعيد عن المخاطب، ومن هنا

(١٢٦) الكتاب، ج ٢ / ٨٠، ٨١.
(١٢٧) النحو والمعنى بين سيبويه والدرس الحديث، ص ٩٥.
(١٢٨) الكتاب، ج ٢ / ٨١.

جاءت حالة جهل المخاطب بالمتكلم، ولزم الأمر أن يعرّف المتكلم نفسه للمخاطب، فقال: أنا عبد الله، فأخبره بنفسه، والموقف هو الذي يتطلب هذا الإخبار"(١٢٩).

وهكذا يبلغ سيبويه من اعتبار موقف الاستعمال أن يجعله فيصلاً في الحكم بصحة التراكيب النحوية وخطئها؛ حيث ينظر إلى الجملة الواحدة فيحكم عليها، في موقف من الاستعمال بأنها خطأ، وفي موقف آخر بأنها صواب، وهذه الجملة لو اكتفي بالنظرة الشكلية الذاتية جملة نحوية جائزة، ولكن اللغة عنده لم تكن تنفك عن ملابسات استعمالها، ومقاييس اللغة عنده تستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي، كما تستمد من معطيات السياق الاجتماعي التي تكتنف الاستعمال اللغوي(١٣٠)؛ " فالتعبير واحد... وهو مرة محال ومرة حسن، ولم يختلف، ولكن الذي اختلف هو السياق الملابس للكلام"(١٣١).

وقد نبه سيبويه إلى ما يعمد إليه المتكلمون من حذف اعتماداً على القرائن الحالية المصاحبة للكلام، فذكر أن المبتدأ قد يحذف ويبقى الخبر اعتماداً على القرينة المرتبطة بحاسة من الحواس الخمس(١٣٢)، يقول في (باب يكون المبتدأ فيه مضمراً ويكون المبنيُّ عليه مظهراً): "وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص، فقلت: عبدُ الله وربِّي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله. أو سمعت صوتاً فعرفت صاحب الصوت، فصار آيةً لك على معرفته، فقلت: زيدٌ وربِّي. أو مَسِستَ جَسَدَاً أو شمِمْتَ ريحاً، فقلت زيدٌ، أو المسك. أو ذقت طعاماً فقلت: العسل "(١٣٣).

ويوحى كلام سيبويه هنا " بأن الحذف قد تم في بنية السطح فقط، وأن هناك بنية أخرى كاملة لا حذف فيها مقدرة أو متصورة في ذهن المحلل النحوي بناء على تقديرها أو تصورها في ذهن المتكلم، والمعول عليه في تقدير العنصر المضمر أو المحذوف هو الدلالة التي تستوحى من السياق أو من الموقف المعتمد على الحواس كالرؤية أو السمع أو اللمس أو الشم أو

(١٢٩) الحذف والتقدير عند سيبويه ودراسة تفسيرية معيارية، فكري محمد أحمد سليمان، رسالة دكتوراه، كلية الألسن ـ جامعة عين شمس، ١٩٨٨م، ص١٥٢، ١٥٣.

(١٣٠) ينظر: نظرية النحو العربي، ص ١٠١.

(١٣١) النحو والدلالة، ص١١٦.

(١٣٢) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ١٣١.

(١٣٣) الكتاب، ج ٢ / ١٣٠.

الذوق"[١٣٤]؛ ذلك أن الحال التي عليها المتكلم من رؤية لشيء ما أو سماع لصوته، أو لمس له، أو شمه، أو ذوقه، هذه الحال تصير دليلاً على هذا الشيء وعلامة على معرفته ومساعدة على حذفه ومرشدة إليه بعد الحذف.

هكذا أدرك سيبويه أن هناك عناصر غير لغوية من العالم الخارجي نراها أو نسمعها أو نمسها أو نشمها أو نتذوقها. وتصبح هذه الأشياء الواقعة في مجال خبرة الحواس كأنها جزءٌ من النسيج اللغوي؛ لأنها تقوم مقام العناصر اللغوية الخاصة[١٣٥].

وساق سيبويه أمثلة كثيرة يُحذف فيها الفعل؛ لدلالة الحال الحاضرة عليه يقول في باب ما يُضمَر فيه الفعل جوازاً: " وذلك قولك، إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج، فقلت: مكَّة وربِّ الكعبة، حيث زَكِنْتَ[١٣٦]، أنه يريد مكة، كأنك قلت: يريد مكَّة والله. ويجوز أن يقول: مكَّة والله، على قولك: أراد مكة والله.... أو رأيت رجلاً يسدِّد سهْمَاً قِبَلَ القِرطاسِ، فقلت: القِرطاسَ والله، أي يصيبُ القرطاس، وإذا سمعت وَقْعَ السهم في القرطاس قلت: القرطاسَ والله، أي أصاب القرطاسَ. ولو رأيت ناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلالَ وربِّ الكعبة، أي أبصروا الهلال..... ومثل ذلك أن ترى رجلاً يريد أن يوقع فعلاً، أو رأيته في حال رجل قد أوقع فعلاً، أو أخبرت عنه بفعل، فتقول: زيداً. تريد: اضرب زيداً، أو أتضربُ زيداً. ومنه أن ترى الرجل أو تُخْبَرَ عنه أنه قد أتى أمر قد فعله، فتقول: أكلَّ هذا بخلاً، أي أتفعل كلَّ هذا بخلاً "[١٣٧].

ويعلق السيرافي على ذلك قائلا: " فهذا من الباب الذي يجوز إظهار الفعل فيه وإضماره لحالٍ حاضرةٍ ودلالة بينةٍ "[١٣٨].

ويرى ابن جنى أن " المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به"[١٣٩]، ويورد مثالاً ذكره سيبويه هنا، ويوجهه في ضوء الحال التي يُقَال فيها، حيث يقول: " من ذلك

(١٣٤) النحو التعليمي في التراث العربي، د. محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص ١٥٠.
(١٣٥) ينظر: نظرية النحو العربي، ص ٩٩.
(١٣٦) زَكِنَ الشيء: عَلِمَهُ وفهمه. تهذيب اللغة، للأزهري، ج ١٠/ ٥٩.
(١٣٧) الكتاب، ج ١ / ٢٥٧، ٢٥٨.
(١٣٨) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج ٥ / ٢٤.
(١٣٩) الخصائص، ج ١ / ٢٨٥.

أن ترى رجلاً قد سدّد سهماً نحو الغرض ثم أرسله، فتسمع صوتاً، فتقول: القرطاسَ والله، أي أصاب القرطاس. فـ(أصاب) الآن في حكم الملفوظ به البتَّة، وإن لم تأت في اللفظ، غير أن دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به "(١٤٠).

ويلاحظ في توجيه سيبويه للأمثلة الواردة في النص السابق ما يأتي:

أ. أنه لا يورد مثالاً إلا بعد أن يذكر الحال والملابسات التي قيل فيها؛ وذلك حتى لا يجد المتلقي غضاضة في تقبل الكلام بعد أن حذف منه عنصراً أساسياً.

ب. أن الحال التي يوجه في ضوئها التراكيب، ترتبط بالرؤية والمشاهدة كثيراً وبالسماع أحياناً؛ حيث تكرر فعل الرؤية ست مرات، وفعل السماع مرة واحدة.

ج. أنه يحرص على تقدير المحذوف في ضوء معطيات الأحوال المشاهدة بعد أن يورد المثال؛ وذلك ليستقرّ المعنى في النفوس، وتطمئن القلوب إلى صحة التوجيه.

ويتوقف سيبويه أمام قولهم: زيداً، وعمراً، ورأسه، ويوجه نصبها خلال الحال نفسه؛ فهي مفعول به لفعل محذوف يُستَدَل على معناه من الحال نفسه(١٤١)، فيقول في (باب ما جرى من الأمر والنهى على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا عَلِمْتَ أن الرجل مُسْتَغْنٍ عن لفظك بالفعل): " وذلك قولك: زيداً، وعمراً، ورأسه. وذلك أنك رأيت رجلاً يضرب أو يشتم أو يقتل، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: زيداً، أي أُوْقِعَ عملك بزيدٍ. أو رأيت رجلاً يقول: أضرِبُ شرَّ الناس، فقلت: زيداً "(١٤٢).

فتوجيه التراكيب التي ذكرها سيبويه هنا بعيداً عن الظروف والملابسات التي قيلت فيها يعدُّ أمراً ملبساً ويجعل الكلام يحتمل أوجهاً عديدة؛ حيث لا يوجد سبب نحوى واضح يعمل النصب في الكلمات (زيداً – عمراً – رأسه)، لإزالة اللبس والإشكال عنها؛ لذلك قرن سيبويه هذه التراكيب بأحوالها، حيث دلَّت الأحوال المشاهدة على المعنى، وقامت مقام الأفعال الناصبة؛ أي إن المتكلم اكتفي فيها برؤيته للرجل يضرب أو يشتم أو يقتل عن قوله: اضرب

(١٤٠) السابق، ج ١ / ٢٨٥، ٢٨٦.

(١٤١) ينظر: فقه اللغة وعلم اللغة. نصوص ودراسات، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٩٥ م، ص ٢٣٩.

(١٤٢) الكتاب، ج ١ / ٢٥٣.

زيداً، أو اشتم زيداً، أو اقتل زيداً، وصارت رؤية العمل الواقع بزيد والمرتبطة بحاسة الإبصار مغنية عن ذكر الفعل؛ " لأن الفعل إنما يُضْمَر إذا كان عليه دليل من مشاهدة حال أو غير ذلك"(١٤٣).

ويعتمد سيبويه على (ما يُرى من الحال) و (ما فيه من الحال)، لتوجيه الحذف الوارد في بعض التراكيب التي تجرى كثيراً على ألسنة الناس في مواقف معيّنة، ومن ذلك: " أن ترى رجلاً قد أوقع أمراً أو تعرض له، فتقول: (متعرِّضاً لَعَنَنٍ لم يَعْنِه)(١٤٤)؛ أي دنا من هذا الأمر متعرضاً لعَنَن لم يعنه. وترك ذكر الفعل لما يرى من الحال"(١٤٥). فـ (متعرضاً) منصوب على أنه حال، والعامل فيه محذوف؛ لدلالة الحال وسياق الكلام عليه؛ لأن في دنو الرجل من أمر لا يعنيه في شيء ما يغنى المتكلم عن استخدام الفعل (دنا).

* ومثل ذلك: "بَيْعَ المَلَطَى لا عهدَ ولا عقدَ(١٤٦)، وذلك إن كنتَ في حال مساومة وحال بيع، فتدع أبايعُك استغناء لما فيه من الحال"(١٤٧) .

فالمتكلم هنا في حال مساومة وحال بيع، وهذه الحال الحاضرة والمصاحبة للكلام أغنته عن ذكر الفعل الناصب، والذي يقدر من خلال الحال نفسه بـ (أبايعك).

ويربط سيبويه حذف الفعل الناصب بدلالة الحال الشاهدة في توجيه نحو: (أ قائماً وقد قعد الناس) و(أ قاعداً وقد سار الركب)، حيث يقول في (باب ما ينصب من الأسماء التي أخذت من الأفعال انتصاب الفعل، استفهمت أو لم تستفهم): وذلك قولك: (أ قائماً وقد قعد الناسُ)،

---

(١٤٣) أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق: الدكتور فخر صالح قدارة، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ج ١ / ١٥٥.

(١٤٤) العَنَن: ما عنَّ لك؛ أي عرض لك، والمعنى: أنه دخل في شيء لا يعنيه ولا ينبغي له التشاغل به. ينظر كتاب سيبويه، للسيرافي، ج ٥ / ٣٨. وقد ورد في (لسان العرب) مادة (عنن): " وفي المثل مُتعرِّضٌ لعَنَنٍ لم يعنه ـ لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، ج ٤ / ٣١٤٠؛ أي وردت (متعرض) بالرفع – وذكر الميداني أن هذا مثل يُضرَب للمعترض فيما ليس من شأنه. ينظر: مجمع الأمثال للميداني، ج ٢، دار مكتبة الحياة، ١٩٩٥ م، ج ٢ / ٣٥٩.

(١٤٥) الكتاب، ج ١ / ٢٧٢.

(١٤٦) المَلَطَى: البيع بغير رجوع. ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، ج ١٣/ ٢٤٣، وفى لسان العرب: مادة (ملط): " ويقال بعته المَلَسى والمَلَطى، والبيع بلا عهدة". لسان العرب، ج ٦ / ٤٢٦٤.

(١٤٧) الكتاب، ج ٢ / ٢٧٢.

و(أقاعداً وقد سار الرَكْبُ)..... وذلك أنه رأى رجلاً في حال قيامٍ أو حال قعود، فأراد أن ينبِّهه، فكأنه لفظ بقوله: أتقومُ قائماً وأتقعدُ قاعداً، لكنه حذف استغناء بما يرى من الحال، وصار الاسم بدلاً من اللفظ بالفعل"(١٤٨).

فالكلام هنا يقوله الإنسان عند فعلٍ يشاهدهُ مما يُنكر عليه من أجل شيء آخر(١٤٩)، ولم يقله متسائلاً ولكن قاله موبخاً ومنكراً لما هو عليه، ولولا دلالة الحال على ذلك لم يجز الإضمار؛ لأن الفعل إنما يضمر إذا دلّ عليه دالٌ، ذلك أنه رآه في حال قيام – أو في حال قعود – في وقت يجب فيه غيره، فقال هذا منكراً(١٥٠)، وكأنه إذا قال: أ قائما وقد قعد الناس، فقد أنكر عليه القيام من أجل قعود الناس، وكذلك إذا قال: أقاعداً وقد سار الركب، فقد أنكر عليه القعود من أجل سير الركب؛ وذلك توبيخاً له.

إذاً فـ (قائماً)، و(قاعداً) منصوبان على الحالية بفعلين محذوفين؛ لدلالة حال الكلام عليهما، يقول السيوطي: " ومما التزم حذف عامله الحال المؤكدة... والواقعة توبيخاً، نحو: أ قائماً وقد قعد الناس"(١٥١)، ويقول السيرافي: " ولا يجوز إضمار الفعل الدال على الحال إلا أن تكون الحال المشاهدةُ تدلُّ عليه"(١٥٢).

وهناك نماذج كثيرة أخرى(١٥٣)، في كتاب سيبويه، نجد فيها ربطاً مباشراً بين التركيب النحوي والحال التي يُقال فيها؛ خاصة حين يتحدث سيبويه عن الحذف والإضمار في الجملة العربية(١٥٤).

ولعلّ النماذج التي وقفت عندها هنا يتبين منها حرص سيبويه على بيان الأحوال المصاحبة للتراكيب؛ ليضع المتلقي أمام مواقف حية، كما حضرها وشاهدها بنفسه، فيتمكن من خلال ذلك من الوقوف على المعنى المراد من كل تركيب دون لبس أو غموض؛ إدراكاً منه أن هذه

(١٤٨) الكتاب، ج ١ / ٣٤٠، ٣٤١.
(١٤٩) ينظر: شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج ٥ / ١١١.
(١٥٠) ينظر: المقتضب، ج ٣ ٢٢٨٨.
(١٥١) همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الكتبة التوفيقية، مصر، ج ٢ / ٣٣٥.
(١٥٢) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج ٥ / ١١٤.
(١٥٣) ينظر: الكتاب، ج ١ / ١٤١، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٢٧، ج ٢ / ٢٣٠، ٢٣٢، ج ٣ / ٢٦٩.
(١٥٤) ينظر: فقه اللغة وعلم اللغة – نصوص ودراسات، ص. ٢٤١.

التراكيب لو نُقِلَت بعيداً عن ملابساتها فإن فهمها يكون عسيراً، ومعناها يكون غامضاً وملبساً، وهذا ينعكس بالسلب على توجيهها النحوي والإعرابي، من حيث تعدد المعاني والأوجه الإعرابية الممكنة، مع صعوبة ترجيح وجه إعرابي على آخر في ظل عدم وجود قرينة حاسمة تحدد المعنى.

الخاتمة

نتائج البحث:

فمن خلال البحث والدراسة والتحليل لموضوع (سياق الحال وتوجيه التراكيب عند سيبويه) توصلت إلى النتائج الآتية:

١. يعدّ سياق الحال – بجميع عناصره غير اللغوية: المتكلم والمخاطب والمقام ـ واحدا من الأسس المنهجية التي اعتمد عليها سيبويه في توجيهاته النحوية والإعرابية للكثير من التراكيب والأمثلة والشواهد الشعرية والقرآنية.

وجّه سيبويه نحويا وإعرابيا كثيرا من التراكيب والأمثلة والشواهد الشعرية والقرآنية اعتمادا على غرض المتكلم وإرادته أو المعنى الكامن في نفسه ـ وهو من العناصر غير اللغوية ـ حيث جعل الإعراب تابعا للمعنى الذي يحمله المتكلم في نفسه، كما جعل غرض المتكلم فيصلا في قبول العبارة أو رفضها، أو الحكم باستقامتها أو إحالتها.

اعتمد سيبويه اعتمادا كبيرا على علم المخاطَب بالمعنى في توجيه التراكيب اللغوية والشواهد الشعرية والقرآنية التي وردت في كتابه، وأدرك أن هناك تفاعلا بين طرفي الكلام (المتكلم والمخاطَب)، حيث إن المتكلم ـ هو منتج الكلام ـ عليه أن يراعي حال المخاطب من حيث الفهم والعلم بالمعنى المقصود من الكلام أو الجهل به، بحيث لا يحذف ولا يجري قولا على غير المألوف إلا إذا كان المخاطب فاهما للمعنى، وقد جعل بذلك للمخاطب دورا مؤثرا في إنتاج الكلام.

يُعدّ توجيه التراكيب اللغوية بعيداً عن الظروف والملابسات التي قيلت فيها يعدُّ أمراً ملبساً ويجعل الكلام يحتمل أوجهاً عديدة؛ لذلك وجدنا سيبويه يحرص على بيان الأحوال المصاحبة للتركيب، أو الحال المشاهدة، ليقف على المعنى المراد من التركيب، ويوجهه نحويا وإعرابيا توجيها صحيحا، وقد يحكم على التركيب بالحسن مرة وبالقبح مرة أخرى رابطا ذلك بالموقف الذي أُسْتُعمل فيه.

المصادر والمراجع

٢. أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق: الدكتور فخر صالح قدارة، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٣. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٩٦١م

٤. التراكيب غير الصحيحة نحويا في (الكتاب) لسيبويه ـ دراسة لغوية، الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية، ٢٠٠٢ م.

٥. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦. جمهرة اللغة، لابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج١/ ١٧٣.

٧. الحذف والتقدير عند سيبويه ـ دراسة تفسيرية معيارية، فكري محمد أحمد سليمان، رسالة دكتوراه، كلية الألسن ـ جامعة عين شمس، ١٩٨٨م.

٨. حول كتاب سيبويه، الدكتور محمد علي الريح هاشم، مجلة كلية الآداب ـ جامعة الخرطوم، العدد الثاني، ١٩٧٥م.

٩. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد على النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م.

١٠. ديوان الفرزدق، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، ط٥.

١١. ديوان عمرو بن شأس= شعر عمر بن شأس الأسدي، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٧٦م،

١٢. سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم ـ دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

١٣. شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.

١٤. شرح جمل سيبويه، الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢.

١٥. شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٩٨٨ م.

١٦. شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: الدكتور فهمي أبو الفضل، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ ط١، ٢٠٠١ م.

١٧. الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، الدكتور محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة.

١٨. الصحاح للجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

١٩. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدكتور طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر ـ والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

٢٠. علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته، الدكتور صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٥م.
٢١. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الدكتور محمود السعران، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٩٧م.
٢٢. فقه اللغة وعلم اللغة ـ نصوص ودراسات، الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥ م.
٢٣. الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
٢٤. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار المعارف.
٢٥. اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب ـ القاهرة، ط٣، ١٩٩٨.
٢٦. مجمع الأمثال، للميداني، الجزء الثاني، دار مكتبة الحياة، ١٩٩٥م.
٢٧. المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط٢، ١٩٧٩م.
٢٨. النحو التعليمي في التراث العربي، الدكتور محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف، الإسكندرية.
٢٩. النحو والدلالة، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، مطبعة المدنية، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م
٣٠. النحو والمعنى بين سيبويه والدرس الحديث، الدكتور راشد أحمد جراري، بحث منشور بمجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، المجلد الخامس، العدد الثالث، ديسمبر ١٩٩٩ م.
٣١. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، الدكتور نهاد الموسى، دار البشير ـ مكتبة وسام، الأردن، ط٢، ١٩٨٧ م.
٣٢. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر

Romanization of references

1. *Asrār Al-ʿArabīyah، Abū al-Barakāt Al-Anbārī، Investigation: Dr. Fakhr Saleh Qadara، Dar Al-Jeel - Beirut، first edition، 1995 AD.*
2. *Al-Inṣāf fī masāʾil Al-khilāf bayna Al-naḥwīyīn Al-Baṣrīyīn wa-Al-Kūfīyīn، Abū Al-Barakāt Al-Anbārī، Investigation: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid، Dar Ihya' al-Turath al-Arabi، 4th ed.، 1961 AD.*
3. *Al-tarākīb ghayr Al-ṣaḥīḥah Naḥwīyan fī (Al-Kitāb) Li-Sībawayh Dirāsah lughawīyah، Al-Duktūr Maḥmūd Sulaymān Yāqūt، Linguistic Study، Dr. Mahmoud Suleiman Yaqout، Dar Al-Ma'rifah University - Alexandria، 2002 AD.*
4. *Tahdhīb Al-lughah، Muḥammad ibn Aḥmad ibn Al-Azharī al-Harawī، Abū Manṣūr (Al-mutawaffá: 370H)، Investigation: Muhammad Awad Mara'b، Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi - Beirut، 1st ed.، 2001 AD.*
5. *Jamharat Al-lughah، Li-Ibn Durayd، Abī Bakr Muḥammad ibn Al-Ḥasan ibn Durayd Al-Azdī (Al-mutawaffá: 321H)، Investigation: Ramzi Munir Baalbaki، Dar Al-Ilm Lil-Malayin - Beirut، 1st ed.، 1987 AD، Vol. 1/173.*
6. *Al-Ḥadhf wa-Al-taqdīr ʿinda Sībawayh Dirāsah Tafsīrīyah miʾyārīyah، Fikrī Muḥammad Aḥmad Sulaymān، PhD thesis، Faculty of Languages - Ain Shams University، 1988.*
7. *Hawla Kitāb Sībawayh، Al-Duktūr Muḥammad ʿAlī Al-rīḥ Hāshim، Journal of the Faculty of Arts - University of Khartoum، Issue Two، 1975 AD.*
8. *Al-Khaṣāʾiṣ، Ibn Jinnī، Muhammad Ali Al-Najjar، Dar Al-Kitab Al-Arabi، Beirut، Lebanon، 3rd ed.، 1983 AD.*
9. *Dīwān Al-Farazdaq، Investigation: Muhammad Abu al-Fadl، Dar al-Maaref، Cairo، 5th ed.*
10. *Dīwān ʿAmr ibn shʾs= shiʿr ʿUmar ibn shʾs Al-Asadī، Investigation: Dr. Yahya Al-Jubouri، Dar Al-Qalam، Beirut، 2nd ed.، 1403 AH - 1976 AD.*
11. *Sirr ṣināʿat al-iʿrāb، Ibn Jinnī، Investigation: Dr. Hassan Handawi، Dar Al-Qalam - Damascus، 1st edition، 1985 AD.*
12. *Sharḥ Abyāt Sībawayh، Yūsuf ibn Abī Saʿīd al-Ḥasan ibn ʿAbd Allāh Ibn Al-Marzubān Abū Muḥammad Al-Sīrāfī (Al-mutawaffá: 385H)، Investigation: Dr. Muhammad Ali Al-Rayeh Hashim، reviewed by: Taha Abdul Raouf Saad، Al-Azhar Colleges Library، Dar Al-Fikr for Printing، Publishing and Distribution، Cairo - Egypt، 1394 AH - 1974 AD.*
13. *Sharḥ Jamal Sībawayh، Al-Duktūr Maḥmūd Sulaymān Yāqūt، University Knowledge House، Alexandria، 1992.*
14. *sharḥ Qaṭar al-nadá wa-ball al-Ṣadá، Ibn Hishām al-Anṣārī، Investigation: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid، Modern Library، Sidon - Beirut، 1988 AD.*
15. *Sharḥ Kitāb Sībawayh، Abū Saʿīd Al-Sīrāfī، Investigation: Dr. Fahmy Abu Al-Fadl، Egyptian National Library Press، Cairo - 1st ed.، 2001 AD.*
16. *Al-shawāhid Al-Qurʾānīyah fī Kitāb Sībawayh، Al-Duktūr Muḥammad Ibrāhīm ʿUbādah، Dr. Muhammad Ibrahim Abada، Library of Arts، Cairo.*
17. *Al-ṣiḥāḥ lil-Jawharī، Abū Naṣr Ismāʿīl ibn Ḥammād Al-Jawharī Al-Fārābī (Al-mutawaffá: 393H)، Investigation: Ahmed Abdel Ghafour Attar، Dar Al-Ilm Lil-Malayin - Beirut، 4th edition، 1407 AH - 1987 AD.*

18. *Ẓāhirat Al-Ḥadhf fī Al-dars al-lughawī، Al-Duktūr Ṭāhir Sulaymān Ḥammūdah، University House for Printing، Publishing and Distribution، Alexandria، 1999.*
19. *ʾIlm Al-Uslūb-Mabādiʾh wa-Ijrāʾātuh، Al-Duktūr Ṣalāḥ Faḍl، The Egyptian General Book Authority، 2nd ed.، 1985 AD.*
20. *ʾIlm Al-lughah muqaddimah llqār' Al-ʿArabī، Al-Duktūr Maḥmūd Al-Saʿrān، Dar Al Fikr Al Arabi، 2nd ed.، 1997.*
21. *Fiqh Al-lughah wa-ʾIlm Al-lughah nuṣūṣ wa-Dirāsāt، Al-Duktūr Maḥmūd Sulaymān Yāqūt، University Knowledge House، Alexandria، 1995 AD.*
22. *Al-Kitāb، Sībawayh Abū Bishr ʿAmr ibn Qanbar، Taḥqīq: ʿAbd Al-Salām Hārūn، Investigation: Abdul Salam Haroun، Al-Khanji Library، Cairo، 3rd edition، 1988 AD.*
23. *Lisān Al-ʿArab، Abū Al-Faḍl Jamāl Al-Dīn ibn manẓūr، House of Knowledge.*
24. *Al-lughah Al-ʿArabīyah maʾNāhā Wmbnāhā، Al-Duktūr Tammām Ḥassān، The World of Books - Cairo، 3rd ed.، 1998.*
25. *Majmaʻ Al-amthāl، lil-Maydānī، Al-juzʼ al-Thānī، Dar Maktabat Al Hayat، 1995.*
26. *Al-Muqtaḍab، Muḥammad ibn Yazīd Al-Mibrad، Supreme Council for Islamic Affairs، Islamic Heritage Revival Committee، 2nd ed.، 1979.*
27. *Al-naḥw Al-taʾlīmī fī al-Turāth Al-ʿArabī، Al-Duktūr Muḥammad Ibrāhīm ʾUbādah، Knowledge Establishment، Alexandria.*
28. *Al-naḥw wa-Al-dalālah، Al-Duktūr Muḥammad Ḥamāsah ʿAbd Al-Laṭīf، Al-Madaniah Press، Dar Al-Salam، Cairo، 1st ed.، 1983 AD.*
29. *Al-naḥw wa-Al-maʾná bayna Sībawayh wa-Al-dars al-ḥadīth، Al-Duktūr Rāshid Aḥmad Jarārī، A research published in the Journal of the Faculty of Education، Ain Shams University، Volume 5، Issue 3، December 1999 AD.*
30. *Naẓarīyat Al-naḥw Al-ʿArabī fī ḍawʼ Manāhij Al-naẓar Al-lughawī Al-ḥadīth، Al-Duktūr Nihād Al-Mūsá، Dar Al-Basheer - Wissam Library، Jordan، 2nd ed.، 1987 AD.*
31. *Hamʻ Al-hawāmiʻ fī sharḥ jamʻ Al-jawāmiʻ، Jalāl al-Dīn Al-Suyūṭī، Investigation: Abdel Hamid Handawi، Al-Tawfiqiya Library، Egypt.*